



جامعة مؤتة

كلية الدراسات العليا

التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم
(دراسة في الأساليب النحوية)

إعداد

أنصاف عبد الله الحجايا

إشراف

الأستاذ الدكتور عادل بقاعين

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
الدراسات اللغوية/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2016

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة



قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة إنصاف عبدالله الحجايا الموسومة بـ:

التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم (دراسة في الاساليب اللغوية)
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.
القسم: اللغة العربية.

التاريخ	التوقيع	
28/7/2016		د. عادل سلمان بقاعين مشرفاً ورئيساً
28/7/2016		د. خلف عايد الجرادات عضواً
28/7/2016		د. فايز عيسى المحاسنة عضواً
28/7/2016		د. منصور عبدالكريم الكفاوين عضواً



الإهداء

إلى...

الروح التي طالما حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها، ورحلت على عجل وفي نفسها أن تراني ها هنا... التي أعلم علم يقيناً أنها ترمقني من بعيد أُمي.

إلى...

إطالة الأمل ومرسى الأمان، والحنان وعطر الحياة - زوجي أيده الله.

إلى...

الذين أرجو لهم من الله أن يكونوا نبراس علم... وسراج معرفة... أبنائي

إلى...

من هم أقرب إلى روعي..... إخواني وأخواتي.

إلى...

من علموني حروفاً من ذهب، وكلمات من درر، وعبدوا طريق طموحي بالأمل، وما زالوا ينبوع علماً يستسقى منه. - أساتذتي الكرام.

شكراً وعرفاناً أهديهم ثمرة هذا الجهد المتواضع ليكون نقطة وفاء لهم.

إلى...

هؤلاء جميعاً أهدي هذه الدراسة.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بحمده يُستفتح كل كتاب، وبذكره يُصدر كل خطاب،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الهادي البشير
والسراج المنير وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعدني وقد انتهيت بفضل الله ورعايته من إعداد هذه الرسالة، أن أتقدم
بوافر الشكر وعظيم الاحترام، وفاءً وعرفاناً، إلى من منحني الرعاية الصادقة،
والتوجيه المخلص، أستاذي الكريم المشرف الدكتور: عادل سلمان البقاعين، فهو
الموجه، والمُعزز، والمشجع، والناصح الأمين، فله مني جزيل الشكر والامتنان.
والشكر الموصول لأعضاء لجنة المناقشة الكرام، الدكتور فايز محاسنة،
والدكتور خلف الجرادات، والدكتور منصور الكفاوين. الذين أكن لهم كل تقدير، فهم
النور الذي يضيء لنا عتمة دربنا، ويدلنا على سواء السبيل بإذن الله، فلکم يا أعضاء
هيئة المناقشة مني كل شكر واحترام.

وأقدم بوافر العرفان وجزيل الشكر إلى كل من سعى مخلصاً وأعانني في
إعداد هذه الرسالة، داعية الله سبحانه وتعالى أن يسدد رأيهم ويبارك في جهودهم.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
هـ	الملخص باللغة العربية
ز	الملخص باللغة الإنجليزية
1	المقدمة
5	الفصل الأول: التوازي التركيبي الصرفي وعناصر الأساليب النحوية
5	1.1 مفهوم التوازي
9	2.1 مفهوم التوازي التركيبي
14	3.1 أنواع التوازي التركيبي
16	4.1 عناصر الإيقاع وعلاقتها بالتوازي
20	5.1 التوازي والأساليب النحوية
25	الفصل الثاني: مظاهر التوازي التركيبي الصرفي في الأساليب النحوية
26	1.2 الاستفهام
35	2.2 أسلوب الشرط
45	3.2 أسلوب الاستثناء
48	4.2 أسلوب النداء
53	5.2 أسلوب الحصر والقصر
59	6.2 أسلوب الأمر
66	7.2 أسلوب النهي والنفي
76	الفصل الثالث: التوازي وعناصر التحول الأسلوبي
76	1.3 التحول من أسلوب إلى أسلوب نحوي آخر
77	1.1.3 الانتقال من الاستفهام إلى الأمر
79	2.1.3 التحول من النهي إلى الشرط

83	3.1.3 التحول من الشرط إلى النفي
85	4.1.3 الانتقال من الاستفهام إلى الشرط
87	5.1.3 الانتقال من النهي إلى الأمر
88	2.3 التحول من أسلوب نحوي إلى جملة إخبارية
95	3.3 الانتقال من الإخبار إلى أسلوب نحوي آخر
99	الخاتمة
101	ثبت المصادر والمراجع

المخلص

التوازي الصرفي التركيبي في القرآن الكريم (دراسة في الأساليب النحوية)

إنصاف الحجايا

جامعة مؤتة، 2016م

تعد الأساليب النحوية واحدة من البيئات الخصبة للدراسة في لغتنا العربية؛ لما تمتاز به هذه الأساليب من عناصر تحويلية، ومكونات إيقاعية، ودوال معنوية لها أثرها في التركيب والدلالة. ومن هنا فقد نظرت هذه الدراسة للحديث عن ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن هذه الأساليب النحوية في القرآن الكريم، كما بيّنت مجموعة من مكونات التحول التي طرأت على هذه الأساليب ونقلتها من هيئة إلى أخرى.

وقد كان الحديث عن عناصر التوازي ضمن القرآن الكريم من خلال الفصول

الآتية:

الفصل الأول: ويختص بالحديث عن التوازي التركيبي الصرفي وعناصر الأساليب النحوية، إذ تناول الحديث عن مفهوم التوازي في اللغة والاصطلاح، والحديث عن بعض الجذور التراثية لهذا المفهوم ضمن تراثنا اللغوي العربي، كما تناول التفصيل في الحديث عن مفهوم التوازي التركيبي والتوازي الصرفي، هذا علاوة على الحديث عن أشكال التوازي وعلاقاته، ودواله، والحديث عن وظيفته، كما بيّنت الباحثة ضمن هذا الفصل علاقة التوازي بمستويات اللغة العربية، ثم تحدثت عن الإيقاع ودور التوازي فيه، وبيّنت مفهوم الأساليب النحوية وعناصرها. في حين تناول الفصل الثاني الحديث عن مظاهر التوازي التركيبي الصرفي ضمن الأساليب النحوية ذاتها، فتحدثت عن مظاهر هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي، والنفي، والاستثناء، والحصر والقصر، والشرط.

وتناول الفصل الثالث الحديث عن التوازي وعناصر التحول الأسلوبية، إذ أوردت الباحثة مجموعة من النماذج التي انتقل فيها التوازي من أسلوب نحوي إلى أسلوب نحوي آخر، ومن خبر إلى أسلوب نحوي، ومن أسلوب نحوي إلى الخبر، وبيّنت أثر هذا التحول في عناصر التركيب والبنية. وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها أنه ثمة توافق دلالي معنوي بين مكونات التوازي التركيبي الصرفي من جهة، وعناصر الدلالة من جهة ثانية ضمن سياق الآيات القرآنية الكريمة، حيث يدعم التوازي مكونات المعنى والدلالة وفقاً لمقتضيات السياق.

Abstract

The morphological structural parallelism in the Holy Quran: A Study in the grammatical methods

Insaf Al-Hajaya

Mu'tah University, 2016

The grammatical methods are considered as a rich area for studying in Arabic language due to their features and characteristics of transformational elements, rhythmic components, and semantic indications that have impact on both structure and semantics.

Hence, this study aims at addressing the features of morphological structural parallelism in these grammatical methods in the Holy Quran. I also illustrated some of the transformational elements that took place for these methods and change it from a certain structure to another.

I addressed the issue of parallelism elements in the Holy Quran in the following chapters:

The first chapter addressed the morphological structural parallelism as well as the grammatical methods, by addressing the concept of parallelism linguistically and conceptually and addressing some of the traditional bases of this concept in Arabic language. This chapter addressed, in detail, the concepts of morphological parallelism as well as the structural parallelism, in addition to addressing the forms of parallelism, its relationships, indications and function. The researcher also demonstrated the relationship between parallelism and the levels of Arabic language. Then, I discussed rhythm and the role of parallelism in it and demonstrated the concept of the grammatical methods and their elements.

The second chapter addressed the morphological structural parallelism in the grammatical methods, where I addressed the manifestations of this parallelism within the question method, call, imperative, inhibition and negation, exception, limitation, as well as condition.

The third chapter addressed parallelism and the elements of methodological transformation, where I mentioned a number of models in which parallelism changed from a certain grammatical state to another, from predicate into grammatical state, and from a grammatical state into a predicate. I also demonstrated the impact of this change on the composition and structure elements.

This study concluded a number of results, including that there is a semantic consistency between the elements of morphological and structural parallelism on the one hand, and the elements of the indication on the other hand within the context of the Holy Quran verses, where parallelism supports the components of meaning and indication according to the requirements of the context.

المقدمة:

تتميز اللغة العربية في مستوياتها كافة بأنها تعتمد على نصوص لغوية نُقلت إلينا مشافهة عبر أبناء اللغة الأقباح، الذين كانوا ينطقون لغتهم على سجيّتهم وسليقتهم، دون أن تتأثر بالمؤثرات الخارجية التي تفضي إلى اللحن في اللغة، وإن أهم هذه النصوص على الإطلاق القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي نُقل إلينا بالتواتر، مما يدفع عنه الشك والظنون التي يمكن أن تدخل إلى بعض نصوص اللغة الأخرى، فالدراسة التي ترتبط بهذا الكتاب العظيم تستمد قوتها من قوة هذا النص الكريم.

وينظر الباحثون عامة منذ القدم إلى القرآن الكريم على أنه الخطاب اللغوي الذي يمكنهم من خلاله استمداد عناصرهم البحثية، وإجراء مصنفاتهم اللغوية؛ مما جعل هذا الخطاب الإلهي أكثر النصوص اللغوية بحثاً عند العلماء والباحثين.

وهذه الدراسة تسعى إلى إبراز التوازي التركيبي الصرفي القائم على أساس توالي المتسلسلات الكلامية ضمن عناصر هذا الخطاب، وبيان علاقة هذا التوازي بجانب المعنى والدلالة، علاوة على ربطه بعناصر الأساليب النحوية ذات النظام التركيبي المتميز في لغتنا العربية.

وبناء على ما سبق فإن هذه الدراسة تسعى إلى بحث عناصر التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم، وذلك ضمن عناصر الأساليب النحوية، وبيان أثر هذا التوازي في جانب المعنى والدلالة، علاوة على ربط تلك العناصر التركيبية بالجوانب النحوية من جهة، والجوانب الصرفية من جهة أخرى.

وتزداد أهمية هذه الدراسة حينما ترتبط بنص لغوي سليم بعيد عن كافة أشكال التحريف أو التصحيف، أو الخلل واللحن، مما يكسب الدراسة مزيداً من القوة والمتانة.

كما تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول واحداً من الموضوعات الحديثة في الدرس اللساني، ألا وهو موضوع التوازي، وتحاول ربط هذا التوازي التركيبي بعناصر البنى الكلامية من جهة، وعناصر المعنى والدلالة من جهة أخرى.

وقد جاءت هذه الدراسة لتجيب على الأسئلة الآتية:

1 - ما مفهوم التوازي التركيبي الصرفي؟

2 - ما العلاقة بين التوازي والمعنى؟

3 - كيف يمكننا توجيه نماذج التوازي التركيبي بما يخدم الدلالة؟

4 - ما مظاهر التوازي التركيبي ضمن الأساليب النحوية؟

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم التوازي التركيبي الصرفي، وبيان العلاقة الوثيقة بين هذا التوازي بكافة أشكاله وعناصر المعنى والدلالة، كما تهدف هذه الدراسة إلى ربط عناصر التوازي بعناصر التركيب والبنية من جهة، وعناصر الدلالة من جهة أخرى.

وتسعى هذه الدراسة أيضاً إلى إظهار العلاقات الوثيقة بين عناصر المعنى والدلالة ضمن تراكيب الأساليب النحوية في اللغة عموماً، والقرآن الكريم خاصة، وبيان دور هذا التوازي في التأثير المعنوي على المتلقي.

تقتفي هذه الدراسة أسس المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد الظاهرة اللغوية، واستقراء عناصرها ضمن الخطاب اللغوي، ومن ثم محاولة تحليل تلك العناصر اللغوية، والتعمق في النظرة إليها، للوصول في نهاية الأمر إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

ولا بد للباحثة من إيراد بعض النماذج السابقة من الدراسات التي تناولت الحديث عن التوازي من قريب أو بعيد، ومن بينها:

أولاً: دراسة عبد الله خليف بعنوان: التوازي التركيبي في القرآن الكريم، وهي رسالة ماجستير في جامعة الموصل، تناولت الحديث عن التوازي التركيبي في القرآن الكريم عموماً، وبيّنت بعض ملامحه.

وما يميز دراستنا عن دراسة عبد الله خليف، أن دراستنا تتناول الحديث عن التوازي التركيبي الصرفي، وهو توازي قائم على المزج بين مستويين لغويين: المستوى النحوي التركيبي، والمستوى الصرفي، في حين أن دراسته تتناول الحديث عن المستوى التركيبي فحسب، كما أن دراستنا تتحدث عن دراسة التوازي ضمن الأساليب النحوية، أما دراسة عبد الله خليف فتتناول الحديث عن التوازي ضمن التراكيب النحوية جميعها، بما في ذلك الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

ثانياً: دراسة للدكتور: موسى ربابعة، بعنوان: ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء، وهو بحث منشور في مجلة دراسات، لعام: 1995م.

وما يميز دراستنا عن هذه الدراسة بأن دراستنا تتناول موضوع التوازي من وجهة نظر تركيبية نحوية لغوية، في حين أن دراسة الدكتور: موسى ربابعة تتناول الحديث عن التوازي من وجهة نظر إيقاعية موسيقية بحتة، وهو ما لا تتعرض له دراستنا إلا بما يخدم هدف البحث.

ثالثاً: دراسة للدكتور: سامح الرواشدة، بعنوان: التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، وهو بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، لعام: 1998م.

وما تتميز به دراستنا عن دراسة الدكتور سامح الرواشدة بأنه تناول الموضوع من وجهة نظر إيقاعية موسيقية، وربطها بالمعنى والدلالة، في حين أن دراستنا تتناول موضوع التوازي في التراكيب والصرف، وأثرها على المعنى والدلالة.

رابعاً: دراسة: محمد كنوني، بعنوان: التوازي ولغة الشعر، وهو بحث منشور في مجلة فكر ونقد، للعام: 1999م.

وكما هو واضح لنا من خلال هذا العنوان فإن دراستنا تتميز عن هذه الدراسة بأنها تتناول التوازي من وجهة نظر تركيبية، في حين أن الباحث محمد كنوني ربط التوازي بلغة الشعر، فكان مرتكزاً على جوانب الموسيقى والإيقاع، وعناصر الشعرية، ولم يتطرق لجوانب التركيب والدلالة.

ومن هنا فقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى الأقسام الآتية:

أولاً: المقدمة: وتشتمل على حديث عن فرضية الدراسة، وأهميتها، ومشكلتها، وهدفها، ومنهجها، وعرض عينة من الدراسات السابقة.

أما الفصل الأول: فيختص بالحديث عن التوازي التركيبي الصرفي وعناصر الأساليب النحوية، إذ تناول الحديث عن مفهوم التوازي في اللغة والاصطلاح، والحديث عن بعض الجذور التراثية لهذا المفهوم ضمن تراثنا اللغوي العربي، كما تناول التفصيل في الحديث عن مفهوم التوازي التركيبي والتوازي الصرفي، هذا علاوة على الحديث عن أشكال التوازي وعلاقاته، ودواله، والحديث عن وظيفته،

كما بيّنت الباحثة ضمن هذا الفصل علاقة التوازي بمستويات اللغة العربية، ثم تحدثت عن الإيقاع ودور التوازي فيه، وبيّنت مفهوم الأساليب النحوية وعناصرها. أما الفصل الثاني: فيتناول الحديث عن مظاهر التوازي التركيبي الصرفي ضمن الأساليب النحوية ذاتها، فتحدثت عن مظاهر هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي، والنفي، والاستثناء، والحصر والقصر، والشرط. أما الفصل الثالث، فتناول الحديث عن التوازي وعناصر التحول الأسلوبي، إذ أوردت الباحثة مجموعة من النماذج التي انتقل فيها التوازي من أسلوب نحوي إلى أسلوب نحوي آخر، ومن خبر إلى أسلوب نحوي، ومن أسلوب نحوي إلى الخبر، وبيّنت أثر هذا التحول في عناصر التركيب والبنية. ثم جاءت الخاتمة لتشتمل الحديث عن مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يليها ثبت بمصادرها ومراجعتها. وأخيراً فإني أسأل الله الحي القيوم، أن يكتب لهذه الدراسة التوفيق والقبول في نفوس الناس، وله الحمد على كل حال.

الفصل الأول

التوازي التركيبي الصرفي وعناصر الأساليب النحوية

يتناول هذا الفصل الحديث عن مفهوم التوازي عموماً، ومفهومه بوصفه توازياً تركيبياً، أو صرفياً، وبيان علاقة هذا التوازي بعناصر الأساليب النحوية وأشكالها، والحديث عن مظاهر هذا التوازي وفقاً لما تقتضيه مجموعة العلاقات الناظمة له.

إن الشعر بمفهومه عند النقاد المحدثين خاصة جان كوهن يظهر على أنه تكرار جزء الصورة نفسها، أي أن هذا الشعر لا بد من وجود عناصر تكرارية فيه، وإن كانت تلك العناصر ليست مكررة على وجه التحديد المباشر الدقيق، فإنها عبارة عن تكرارات غير مباشرة، فيما قد نطلق عليه التشاكل⁽¹⁾.

هذا يعني أن الشعر ينحصر في هذه التقنية المتمثلة بالتشاكل أو التكرار، وهو مرتبط بجانب الصورة الشعرية، الأمر الذي يجعل من هذا الوضع سبباً لتشكيل عناصر الشعر بأكملها.

وبداية لا بد من تحديد مفهوم التوازي في اللغة والاصطلاح، وهو على النحو الآتي:

1.1 مفهوم التوازي:

مصطلح التوازي يشير إلى المصدر الصريح من الفعل "توازي"، إذ هو "توازٍ، وهو مأخوذ في اللغة من الجذر: "وزي"، وهو جذر لغوي يدل على تجمع في شيء واكتناز⁽²⁾.

¹ انظر: كوهين، جان (1986م). بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري،

دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ص: 52 - 53.

² ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1979م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق:

عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 107.

ويدل لفظ التوازي في اللغة على معنى المحاذاة والاجتماع والانقباض⁽¹⁾، وهو ما عبر عنه الدكتور أحمد مختار عمر بالتشابه أو التشاكل أو حتى التماثل، فيقال: هناك توازٍ كبير بين فكره وفكر أبيه⁽²⁾.

هذا يعني أن التوازي في معناه اللغوي يشير إلى مجموعة من الأمور، من بينها: التجمع، والمحاذاة، والانقباض، والتماثل، والتشاكل، وغيرها من الجوانب اللغوية التي تدل على هذه المعاني المتقاربة.

في حين أن المعنى الاصطلاحي يشير إلى ذلك التماثل القائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وهذان الطرفان عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها، حيث تقع بين هذين الطرفين علاقة متينة تقوم على أساس المشابهة، أو على أساس من التضاد⁽³⁾.

هذا يعني أن التوازي يقوم بين تركيبين اثنين من تراكيب اللغة، يقومان على أساس من التماثل والتجانس النحوي الصرفي، مع الإشارة إلى احتمالية التكرار في عناصر المتعاقبتين اللغويتين، أو ربما وقع بعض التحول في الجانب الشكلي للوحدة الكلامية، مع المحافظة على النسق التركيبي العام، دون اشتراط التماثل الصوتي بين المتعاقبتين⁽⁴⁾.

¹ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، دار

صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 15، ص: 391. مادة (دزي)

² عمر، أحمد مختار عبد الحميد (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق

عمل، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 2435.

³ - انظر: كنوني، محمد (1999م). التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد:

18، ص: 79.

⁴ . كنوني، التوازي ولغة الشعر، ص: 80.

وهناك وجهة نظر أخرى تتناول تعريفاً آخر للتوازي يتمثل بتشابه البنيات واختلاف المعاني⁽¹⁾، كما عُرِّف بأنه توازن المنطقات على مستوى التطابق أو التعارض⁽²⁾.

هذا يعني أن المفهوم العام للتوازي ينطلق من فكرة البرهنة على تطابق نصين أو سردين أو اختلافهما من خلال العلاقات التسلسلية بين وحدات هذين السردين، وتشابه النهايات الصوتية، فإن هذا التشابه أو التقارب بين السردين أو النصين يؤدي إلى البرهنة على توازيهما⁽³⁾.

ومن هنا فإن التوازي يقصد إلى تنمية نواة معنوية سلبياً أو إيجابياً بركام قسري أو اختياري، وذلك ضماناً لانسجام الرسالة⁽⁴⁾.

ويمكن للباحثة أن تلاحظ من خلال مفهوم التوازي السابق أنه يقوم على مجموعة من الأركان وهي: أولاً: السلسلة الكلامية، وهي عبارة عن توالي مجموعة من العبارات النصية، ضمن سياق واحد.

ثانياً: أطراف هذه السلسلة: وتمثل تلك العبارات التي تتضام بعضها إلى بعض لتشكّل تلك السلسلة.

ثالثاً: التماثل أو التشاكل: وهي علاقات داخلية بين عناصر كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية، مقروناً بما يقابله من الوحدات الكلامية ضمن الطرف الآخر من السلسلة ذاتها، وصولاً إلى شيء من التناغم والتجانس بين هذه الوحدات الكلامية

1. مفتاح، محمد (1997م). مدخل إلى قراءة النص الشعري، مجلة فصول، المجلد: 16، العدد: 1، ص: 259.

2. الحياي، عبد الله خليف (2004م). التوازي التركيبي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: هاني صبري علي آل يونس، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الموصل - العراق، ص: 7.

3. انظر: الخطيب، إبراهيم (1982م). نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس، الشركة المغربية للناسرين المتحدّين، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 229.

4. مفتاح، محمد (1985م). تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت - لبنان، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ص: 25.

ضمن السلسلة ذاتها. وانطلاقاً مما سبق فإن للتوازي معنيين اثنين: الأول: المعنى اللغوي: ويقصد به المحاذاة أو المجاورة، الثاني: وهو المعنى الأدبي، ويشير إلى عنصر بنائي في الشعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية⁽¹⁾.

ونشير هاهنا إلى أن هذا التكرار ليس تكراراً محضاً مباشراً، وإنما هو تكرار خاضع لعناصر البنية التركيبية أو البنية الشكلية لوحدات الكلام المتعاقبة، وليس الأمر مجرد تكرار نصي مباشر كما هو معروف في مصطلح التكرار.

وجدير بهذه الدراسة أن تحاول الربط بين هذا المفهوم المعاصر في الخطاب الشعري، ومنجزات تراثنا الأدبي العربي القديم، إذ ثمة ملحوظات تقودنا إلى شيء من مفهوم هذا التوازي، ومن بينها مصطلح الموازنة، إذ يشير مصطلح الموازنة إلى أن تتساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: "وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً وَزَرَابِيٍّ مَبْتُوثَةٍ"⁽²⁾، فإن المصفوفة والمبتوثة متساويان في الوزن دون التقفية⁽³⁾.

ويقول الكجراتي مبيّناً أن الموازنة لا بد لها أن تكون في أشياء متقاربة، وأنه لو تباعدت الأشياء عن بعضها لم يعد هناك معنى لهذه الموازنة، وذلك في قوله: "المراد من الوزن موازنته إياهم، وإنما يراعي الموازنة في أشياء متقاربة فإذا تباعدت لم يوجد للموازنة معنى"⁽⁴⁾.

ومن خلال هذا المعنى المخصص لمصطلح الموازنة عند القدماء نجد أنه لا يختلف كثيراً عما نجده في مصطلح التوازي عند المحدثين، إذ إن الطرفين يشيران

¹ - ربابعة، موسى (1995م). ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، المجلد: 22، العدد: 5، ص: 230.

² .سورة الغاشية، آية: 15 - 16.

³ . الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1983م). كتاب التعريفات، حققه وضبطه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 237.

⁴ . الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي صديقي (1967م). مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ج: 3، ص: 138.

إلى وجود تماثل وتشاكل وتساوٍ بين وحدات الكلام المتوالية، وهذا التشاكل من شأنه أن يمنح الكلام مزيداً من الرونق والجمال.

ولم يكن الأمر حصراً على الأدباء والمشتغلين بالأدب، فقد كان لعلماء اللغة دور في الحديث عن مفهوم التوازي بفكرته القديمة، فقد أوضح ابن مالك في شرح التسهيل أن التوازن بين "يضرب" و "ضارب" واضح⁽¹⁾، وهو في هذه الإشارة اللغوية يتحدث عن ذلك التشاكل والتشابه بين هاتين الكلمتين في تركيبهما الصوتي، وما هذه إلا إشارة لبعض ملامح التوازي بمفهومه الحديث.

غير أن النحاة القدماء لم يحددوا هذا المصطلح بمفهوم التوازي الذي نعرفه الآن، وإنما علّقوا على بعض ملامح التشابه والتشاكل بين وحدات الكلام المختلفة بأنها من قبيل التوازن أو الموزونة⁽²⁾.

غير أنه من المفيد هاهنا أن نقول إن مفهوم التوازي عند المحدثين أعم وأشمل من مفهوم الموازنة عند القدماء، إذ بيّنا أن مفهوم الموازنة يشير إلى تساوي بعض وحدات الكلام في صيغتها، في حين أن التوازي يصل إلى أبعد من ذلك، ليشمل جوانب التركيب، وجوانب البنى، وجوانب الأصوات، علاوة على جانب المعنى، خاصة أن التوازي ربما يعتمد على التضاد، كما أن التوازي يخضع لعلاقات تلك الوحدات الكلامية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، في حين أن الموازنة لا تشمل العلاقات القائمة بين هذه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة بأطرافها جميعاً.

2.1 مفهوم التوازي التركيبي:

لا يمكن النظر لأي وحدة كلامية بمعزل عن مجاوراتها من الوحدات الكلامية الأخرى، بمعنى آخر فإن أي وحدة كلامية لا تمنحنا أي معنى مخصص إلا بوجودها ضمن سياقها الذي يتحكم بمعناها من جهة، وبمعنى سائر الوحدات الكلامية

¹ ابن مالك. شرح التسهيل، ج: 1، ص: 36.

² انظر مثلاً: الحلبي، محمد بن يوسف بن أحمد (1428هـ). تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 233.

المجاورة لها من جهة أخرى، فإن اللغة مكونة من وحدات كلامية متعددة ومتشابكة، تحكمها مجموعة من العلاقات التجاورية والسياقية التي من شأنها أن تحدد طبيعة الدلالة التي تتحكم بكل وحدة كلامية من هذه الوحدات⁽¹⁾.

فالكلمة تكون محققة لذاتها في فعاليتها في السياق، فمعنى الجملة ليس إلا مجموع السياقات التي تشكل الكلمة جزءاً منها، وليست دلالاتها إلا مجموع التأليفات المتحققة لكلمة ما، وإن البنية المتشكلة في النمط التركيبي المناسب تتوزع فيه الأدوار الوظيفية للكلمات بمقتضى دلالتها، إذ يتأثر المعنى الدلالي بنوع البنية الشكلية ويرتبط بها، وموقع الكلمة في الجملة يكشف عن حقيقة المعنى؛ لأن المعنى اللغوي يختلف نتيجة لنوع الوحدات الداخلة في التركيب ولموقعها، فاختلاف البنات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقاً لحالات الاستعمال⁽²⁾.

يعني ذلك أن العلاقة الناظمة بين وحدات الكلام المختلفة لا تحمل أي معنى إلا من خلال علاقاتها مع بعضها، ومن خلال النظم القائم بينها، فمعاني النحو لا تقوم على أساس من المعاني المفردة للكلمات أو الوحدات الكلامية، بل تقوم على أساس من التمازج بين معاني الوحدات الكلامية المكونة للجملة بأكملها⁽³⁾.

تمثل الجملة الوحدة الأصغر في تكوين النص، فالنص وحدة تواصلية كبرى، يليها في الصغر الجملة، والجملة مكونة من مجموعة من الوحدات الكلامية والكلمات، هذه الوحدات الكلامية تحمل معنى خاصاً بها، ومجموع هذه المعاني المتضامة إلى بعضها تشكل معنى تلك الجملة، ومجموعة المعاني المرتبطة بالجملة ذاتها تشكل معنى واسعاً يحمل الطابع العام للنص بأكمله، فلا يمكن الحكم على معنى الكلمة الصغرى إلا بالنظر إلى سلسلة العلاقات الناظمة بينها وبين سائر الوحدات

¹ انظر: لاينز، جون (1987م). اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ص: 83.

² الحياي. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 15 - 16.

³ - انظر: لوش، نور الهدى (1995م). علم الدلالة دراسة وتطبيق، منشورات جامعة قار

يونس، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى، ص: 45.

الكلامية في الجملة ذاتها، وبالنظر إلى مجموعة تلك الجمل المكونة للنص بأكمله، فإن المعنى رهين هذه العناصر كلها⁽¹⁾.

وهناك تبادل في العلاقات بين العناصر التركيبية النحوية، والعناصر الدلالية في الجملة بدءاً ووصولاً إلى النص بأكمله، والنص كذلك، فإن علاقة الوحدات الكلامية في الجملة الواحدة قائمة على أساس من التكامل التركيبي، فإن المعاني تنطلق من التركيب، إذ لا بد من استمداد تلك المعاني من خلال العلاقات التركيبية النحوية النازمة للجملة، وهذا كله يشير إلى ذلك التوازي الأفقي بين تلك الوحدات الكلامية، والتوازي الأفقي لا يأتي إلا من خلال العلاقات التركيبية النحوية بين العناصر الجمالية المختلفة⁽²⁾.

فمفهوم التوازي التركيبي الصرفي يتعلق بسلسلتين متواليتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو اختلافات إيقاعية، وصوتية، ومعجمية دلالية، وبذلك يكون التوازي التركيبي: تأليفاً لمجموعة من الثوابت والمتغيرات، فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة، في مقابل المتغيرات التي هي بمنزلة اختلافات خالصة، فالموازاة تأليف ثنائي، والموازاة تعادل - تماثل، وليست تطابقاً، إلا أن مفهوم التماثل فضلاً عن ذلك يمحو بطريقة ما عدم التساوي بين الطرفين⁽³⁾.

ونجد أن هذا المصطلح يرتكز على ركيزتين هما: التوازي، وقد بيّنا مفهومه، والتركيبي، وهو مصطلح كبير يشير إلى مجموعة من العلاقات النازمة لوحدات

¹. انظر: خطابي، محمد (1988م). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ص: 13، وحميدة، مصطفى (1997م). نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 130.

². انظر: عبد اللطيف، محمد حماسة (1983م). النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 113.

³. انظر: ياكبسون، رومان (1988م). قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي، ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، ص: 113، وكنوني، محمد (1997م). اللغة الشعرية: دراسة في شعر حميد سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ص: 117، والحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص:

الكلام، وهذه العلاقات يمكن لنا أن ننظر إليها من جهة علم اللغة الوصفي، والحديث عنها ضمن مجموعة التراكيب التي تظهر في مكنونات اللغة⁽¹⁾.

ويشير مستوى التركيب في اللغة إلى مجموعة من العناصر التي يمكن لنا أن ننظر إليها من خلال علاقات الوحدات الكلامية المتجاورة ببعضها، أو ما يمكن لنا أن نطلق عليه مفهوم الإسناد كما هو معروف عند القدماء، إلا أن مصطلح التركيب يتسع ليشمل مجموعة من العناصر الأخرى التي من شأنها أن ترفد المعنى مع عمَد الكلام، وهذه العناصر يُطلق عليها مصطلح مكملات الإسناد، فالمستوى التركيبي هو ذلك المستوى الذي يمكن لنا فيه أن نحلل عناصر اللغة إلى مسند ومسند إليه ومكملات⁽²⁾.

هذا يعني أن علاقة التضاييف بين لفظ "التوازي" ولفظ "التركيبي" يشير إلى ملامح التماثل والتشاكل والتساوي بين وحدات الكلام المختلفة ضمن إطار التركيب، وليس الأمر عاماً هكذا، بل لا بد من الإشارة إلى أن عنصر التركيب هو العنصر الأساسي في تحديد ملامح هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية.

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعي تماماً مفهوم التوازي التركيبي من جهة، والتوازي الصرفي من جهة ثانية، ومن ثم يمكننا المزج بينهما وفقاً لما تقتضيه عناصر المدلولات الكلامية، فالتوازي التركيبي قائم على أساس تشاكل البنيات التركيبية، وذلك ضمن عناصر الإسناد وما يتبعها في الجملة العربية، وهذا التشاكل التركيبي يقوم على أساس التناسق بين عناصر المتسلسلة الكلامية الأولى، وعناصر المتسلسلة الكلامية الأخرى، كأن يُبنى التركيب الاسمي على نسق: اسم معرفة علم + خبر جملة فعلية فعلها مضارع.

¹. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (1998م). أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الثامنة، ص: 36.

². عبد التواب، رمضان (1997م). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ص: 195.

ويكون هذا النسق الكلامي ضمن المتواليتين الكلاميتين، مثال: زيد يرمي الكرة، محمداً يلتقطها، فهذا التناسب التشاكلي بين الجملتين يقود إلى التوازي بينهما، وهو توازٍ أفقي كما نرى.

أما التوازي الصرفي فيقوم على أساس من تشاكل البنيات الشكلية للوحدات الكلامية، أي أن هذه الوحدات الكلامية تأتي ضمن إطار صرفي موحد، كأن يأتي الكلام على اسم الفاعل، أو على اسم المفعول، وهكذا، مثل قوله سبحانه وتعالى: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا"⁽¹⁾.

فإن الوحدات الكلامية: مسلمات مؤمنات، من الشكل الصرفي الدال على اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي، في حين إن الوحدات الكلامية: قانتات، عابدات، سائحات، من الشكل الصرفي الدال على اسم الفاعل من الفعل الثلاثي، إلا أن بينهما توازياً قائماً على أساس من التشاكل الصرفي المبني على صيغة اسم الفاعل.

وبناء على ما سبق كله يمكن للباحثة أن تبين مفهوم التوازي التركيبي الصرفي على أنه تشاكل في البنيات التركيبية مضافاً إليها تشاكل في البنيات الشكلية للوحدات الكلامية، مما يقود إلى اشتغال المتوالية الكلامية على نموذجين متمازجين من التوازي، أولهما تركيبية، وثانيهما صرفي.

ومن هنا يمكننا القول بأن مفهوم التوازي الصرفي قائم على أساس من التشاكل الصرفي بين الوحدات الصرفية المكونة للمتوالية الكلامية، الأمر الذي يمنحها شيئاً من التجانس والانسجام، يضاف إليه بعض ملامح التناسق الصوتي في تشكيل عناصر هذا التوازي⁽²⁾.

وكما كان التوازي التركيبي النحوي قائماً على أساس البنى التركيبية المعتمدة على التراكيب والعلاقات الإسنادية بين عناصر المتوالية الكلامية، فإن التوازي الصرفي يعتمد على التشاكل والتجانس بين عناصر المتوالية الكلامية من ناحية البنية الشكلية، فإن هذه العناصر الشكلية تؤثر تأثيراً مباشراً في العلاقات الدلالية

¹. سورة التحريم، آية: 5.

². انظر: كنوني. التوازي ولغة الشعر، ص: 80.

للمتوالية الكلامية، وبعد فإنها تؤثر في العلاقات الدلالية في الخطاب الأدبي أو الشعري بأكمله⁽¹⁾.

3.1 أنواع التوازي التركيبي:

ينقسم التوازي التركيبي إلى قسمين هما:

الأول: توازي البنى المتشابهة: ويقوم هذا النوع من التوازي على تشابه الوحدات الكلامية ضمن السلسلة اللغوية، وهذا التشابه لا يصل إلى حد التطابق أو التماثل، إنما هو تشابه في العلاقة النحوية، والبنية الصرفية، ومثاله التشابه القائم بين: لن، ولم⁽²⁾.

الثاني: توازي البنى المتغايرة: ويقوم هذا التوازي على أساس من التقابل بين وحدتين كلاميتين ضمن سلسلتين لغويتين، ينطلق فيه هذا التوازي من التغير أو التناقض بين هذين العنصرين، كالتوازي المائل بين المعرفة والنكرة، أو الحذف والذكر، أو النفي والإثبات، أو بين الاسم والفعل، أو كالتوازي بين الصيغ النحوية المتوازية نحوياً المختلفة دلاليًا، مثل: كان وأصبح، ولن وحتى، وإن ولكن⁽³⁾.

ومن هنا فإن عملية المزج بين نوعي التوازي - التركيبي والصرفي - ليس بالأمر الصعب، وإنما هو ربط متاح في ظل وجود هذين النوعين من التوازي التركيبي، خاصة بحضور عناصر التوازي الصرفي بين هذه العناصر الكلامية. ولا بد من وجود بعض الدوال الكلامية التي من شأنها أن تتحكم بالتوازي التركيبي في اللغة، وأهم هذه الدوال ما يأتي:

1. الحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 15 - 16.

2. انظر: كنوني. اللغة الشعرية، ص: 118، 120، والحياني: التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 25.

3. انظر: كنوني. اللغة الشعرية، ص: 121، والحياني. التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص: 25.

الدالة الأولى: تقوم على أساس من إيراد فكرة في السلسلة الكلامية الأولى، وإيراد ما يرادفها أو يخالفها في المتوالية التي تليها، ويهدف هذا النمط من التوازي إلى إقناع المتلقي بما في المتواليتين من فكرة⁽¹⁾.

الدالة الثانية: دالة التضاد أو الطباق، وتقوم هذه الدالة على أساس معارضة المتوالية الأولى أو إنكارها، وهو مفهوم الطباق في اللغة⁽²⁾.

ومثال هذه الدالة ما جاء في خطبة لأبي بكر الصديق حين تولى الخلافة، وذلك حيث قال: " إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطل فسددوني؛ أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقوامك عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه"⁽³⁾.

يقوم النص السابق لأبي بكر الصديق على أساس التوازي التقابلي بين الكلمات، مثل: حق وباطل، وقوي وضعيف، وأقوام وأضعفكم، وغيرها من عناصر التوازي التقابلي بين هذه العناصر الكلامية.

الدالة الثالثة: وتكون فيها المتوالية الأولى ناقصة دلاليًا يمكن إتمامها في الدالة الثانية، أو الثالثة⁽⁴⁾، ومثال هذه الدالة ما جاء في خطبة لأبي بكر الصديق أيضاً يقول فيها: " نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأوسطهم دارا، وأكرم الناس أحسابا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم. أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم، فأنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، أويتم ونصرتم وواسيتم، فجزاكم الله

¹. انظر: رواشدة، سامح (1998م). التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع

والدلالة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد: 16، العدد: 2، ص: 21 - 22.

². انظر: رواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة: ص: 23.

³. ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 150.

⁴. رواشدة. التوازي في شعر يوسف الصائغ، ص: 22.

خيرا. نحن الأمراء وأنتم الوزراء. لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، وأنتم محقوقون ألا تنفسوا على أخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم"⁽¹⁾.

فالنموذج السابق من خطبة أبي بكر يشتمل على توازٍ تركيبى بين الدوال الآتية:

أول الناس إسلاما

وأوسطهم دارا

وأكرم الناس أحسابا

نحن المهاجرون: وأحسنهم وجوها

وأكثر الناس ولادة في العرب

وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم

أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم

فظاهر لنا من خلال النموذج السابق كيف أن المتوالية الأولى: نحن المهاجرون، لم يتم معناها عند هذا الحد، بل تجاوزته إلى أن انتقلت إلى المتوالية التالية، ثم التي تليها، ثم التي تليها، وهكذا، وكل ذلك قائم على أساس التوازي بين المتوالية الأولى وما يليها.

ولا شك أن لهذا التوازي أثراً كبيراً في التأثير على المتلقي في القرآن الكريم، خاصة حين يرتبط بتوالي الجمل النافية المتعاقبة التي يكون القصد منها إقناع المتلقي بما في المتواليين، وهذا ما ستسعى هذه الدراسة إلى توضيحه وبيانه ضمن فصولها المقبلة بإذن الله تعالى.

4.1 عناصر الإيقاع وعلاقتها بالتوازي:

يجدر بنا هاهنا أن نشير إلى عناصر مهمة في تشكيل العلاقات التشاكلية بين وحدات الكلام المختلفة، هذه العناصر لها دورها في التركيب والشكل للوحدة الكلامية، ومن هنا لها دورها في تكوين عناصر الإيقاع بين المتواليات الكلامية المختلفة، ومن بين هذه العناصر ما يرتبط بالإيقاع.

¹. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (1423هـ). البيان والتبيين، دار ومكتبة

الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 199.

يرتبط الإيقاع بفكرة الموسيقى الشعرية، وهو ينقسم إلى خارجي وداخلي، على الرغم من أن عدداً من النقاد لا يرون من الصحة بمكان أن ينقسم الإيقاع إلى خارجي وداخلي؛ لأنهما يؤديان معاً الوظيفة الشعرية المنوطة بهما، ولا بد من اندماج عناصر الإيقاع الخارجي مع عناصر الإيقاع الداخلي من أجل الوصول إلى تناغم موسيقي ضمن مستويات الشعر المختلفة، إلا أن هذا التقسيم يصبح لزومياً في بعض الأحوال من أجل الوصول إلى تحليل سليم للخطاب الشعري، إذ لا بد من هذا التقسيم الإيقاعي كي يسهل على الباحثين الوصول إلى دراسة الخطاب الشعري وتحليله تحليلاً علمياً سليماً⁽¹⁾.

ويشير مصطلح الإيقاع ضمن الميدان الفني الصرف إلى النقرة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب، أو تقدير لزمان النقرات، أو قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقرة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية، وكل واحد منها يسمى دوراً، أو إظهار مناسبات أجزاء الزمان من القوة إلى الفعل بحسب اختيار الفاعل، أو صياغة اللحن حسب أجزاء متناسبة من المفاصل الزمنية محدودة في كل ميزان، أو جماعة فقرات بينها أزمنة محدودة المقادير لها أدوار متساوية الكمية على أوضاع مخصوصة يدرك تساوي الأزمنة والأدوار بميزان الطبع السليم⁽²⁾.

وعموماً فإن كلمة "إيقاع" مأخوذة من اليونانية بمعنى الجريان أو التدفق، وهي ليست حكراً على الأعمال الموسيقية أو الشعرية فحسب، بل إن الإيقاع داخل ضمن عناصر الفن جميعاً، إذ هو علاقة الجزء بالكل، أو علاقة الجزء بالجزء الآخر، وهو منطلق من فكرة التتابع المنتظم بين الحركة والسكون، أو بين الظلام والنور، أو بين الصمت والكلام، أو بين القوة والضعف، أو بين الشدة والرخاوة، إلى غير ذلك من التتابعات التي من شأنها أن توجد حركة منتظمة، فالإيقاع يدخل في جوانب الفن

¹. انظر: عبد الحافظ، صلاح (1995م). الموسيقى الشعرية، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ص: 9.

². الأرموني، صفي الدين عبد المؤمن (1980م). كتاب الأدوار، تحقيق وشرح: هاشم محمد الرجب، دار الرشيد، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ص: 139 - 140.

جميعاً شعراً ونثراً، ورسمياً، وموسيقياً، ونحتاً، وغير ذلك من ألوان الفن التي من شأنها أن تعتمد أسلوباً منتظماً في الأداء، يتمثل بالترار أو التعاقب أو الترابط⁽¹⁾. بل لا يقف الأمر في الإيقاع عند الجانب الفني الأدبي فحسب، بل إن الإيقاع يكاد يدخل في كافة أشكال حياتنا اليومية، فما هو إلا النقطة الفاصلة التي تفصل بين الحركة والسكون، أو الضوء والظلام، فثمة إيقاع للطبيعة من حولنا، وإيقاع للإشارات الضوئية، وإيقاع للكائنات الحية بأجسامها الحيوية وهكذا، يعني ذلك أن الإيقاع عنصر لا يتجزأ من حياتنا اليومية التي نعيشها بكافة تفاصيلها وأشكالها وعناصرها⁽²⁾.

وبناء على مفهوم الإيقاع هذا يمكننا أن نرى الربط الواضح والمباشر بينه وبين ما يقصد إليه التوازي، فحينما يكون الإيقاع تاماً بين عناصر الكلام، أو ماثلاً على الحد الأدنى، يمكن القول بأن مزيداً من عناصر التوازي التركيبي أو الصرفي ماثلة ضمن هذه المتواليات الكلامية، وهو ما يقصد إليه الإيقاع أساساً بالدرجة الأولى. أما الإيقاع الداخلي، فهو يختلف عن الإيقاع الخارجي من حيث كونه مبتعداً عن نظامية الإيقاع الخارجي ورتابته، فهو يعتمد على الوحدات الكلامية بأكملها المكونة للخطاب، وهي محاولة للاستفادة من العلاقات الداخلية بين تلك العناصر الكلامية، والاستفادة من كافة مستويات اللغة بأشكالها وطرائقها، وصور العلاقات الكلامية ضمن التخالف والتضاد والتكرار والانسجام الدلالي، وليس مجرد الاكتفاء بعناصر الصوت والإيقاع الصوتي بين الكلام⁽³⁾.

¹. انظر: وهبة، مجدي (1984م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ص: 71، وعبيد، محمد صابر (2001م). القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جبل الرواد والستينات، اتحاد الكتاب العربي، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ص: 16.

². انظر: ويليك، رينيه، ودارين، أوستين (1972م). نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، ص: 212.

³. انظر: اليوسفي، محمد لطيفي (1985م). في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ص: 142.

هذا يعني أيضاً أن الإيقاع الداخلي ذو ارتباط وثيق بالتوازي التركيبي، فهو داخل ضمن مستويات اللغة بأكملها كما أشرنا، ويخضع لمجموعة من العلاقات بين الوحدات الكلامية التي من شأنها أن تقود إلى عناصر التشاكل التركيبي والصرفي بين وحدات الكلام المختلفة، الأمر الذي يقود في نهاية المطاف إلى تشكل التوازي بين المتواليات الكلامية.

إن الإيقاع الداخلي يرقى إلى كونه عنصراً شاملاً للإيقاع الخارجي، فهو لا يغفل الأهمية البالغة للأصوات، وعلاقة هذه الأصوات ببعضها، بل يتناول الحديث عن تلك الأصوات من خلال انتظامها في الكلام، وتكرارها ضمن مستويات كلامية متساوية، وعلاوة على ذلك فإن الإيقاع الداخلي يهتم بقضايا الصورة، والشكل الدلالي، وعناصر العلاقات التركيبية ضمن الخطاب، والرموز، وبذا فإن الإيقاع الداخلي يبتعد في كونه نظاماً سطحياً بسيطاً ضمن الخطاب، ليغدو كونه عنصراً لا يستهان به في تكوين العلاقات الداخلية بين وحدات الكلام المختلفة⁽¹⁾.

ومن هنا اكتسب الإيقاع الداخلي أهميته في الخطاب النقدي الحديث، فهو عنصر ينمو ويتطور، وهذا النمو والتطور ناشئ من طبيعته المتميزة في الخطاب الأدبي عموماً، وهو لا يركز على جانب الموسيقى والإيقاع الصوتي فحسب، بل يهتم كثيراً بجوانب الدلالة⁽²⁾.

ومن بين أهم العناصر الموسيقية التي تخلق الإيقاع الداخلي ضمن الخطاب الأدبي التكرار، إذ يقوم التكرار على أساس توالي عناصر موسيقية متتابعة ضمن الخطاب الأدبي، الأمر الذي يمنح هذه العناصر المتتابعة نمطاً من الإيقاعية والرتابة، مما يزيد في مقدار التوازي والإيقاع بين عناصر هذه المتواليات الكلامية⁽³⁾، بل إن التكرار يمكن أن يعد أرفع رتبة في التوازي بين عناصر الكلام.

¹. المعمدي، عبد السلام (1981م). قراءات مع الشبابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة

التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ص: 24.

². انظر: عبيد. القصيدة العربية الحديثة، ص: 62.

³. انظر: وهبة. معجم المصطلحات العربية، ص: 71.

ويسير التكرار ضمن عناصر موسيقية أخرى في الخطاب، كالتناسق، والتناسب، والتوازي، الأمر الذي يمنح الخطاب في نهاية المطاف سمة الانتظام، وهذه السمة تشير إلى علاقة وثيقة من التناسق الموسيقي الصوتي التركيبي بين عناصر الكلام المختلفة، وهذا الانتظام كما بينا يسهم في تشكيله مجموعة من العناصر الإيقاعية، يمثل التكرار أهم تلك العناصر⁽¹⁾.

ومن هنا فإن عناصر الإيقاع الخارجي والداخلي لها دورها المباشر في تشكيل بنية الإيقاع ضمن المتسلسلات الكلامية المختلفة، وهذا الإيقاع له دوره المباشر في تعميق هذه الملامح الدالة على التوازي ضمن عناصر المتواليات الكلامية.

ومن هنا تتطرق تقنية التوازي من موضوع الإيقاع، وليس المقصود بالإيقاع هاهنا المفهوم المحدود الذي ينطلق من الرؤية الشعرية العروضية البحتة، وإنما يُقصد بالإيقاع هاهنا ذلك النظام المتساوق من التجانسات والتوازيات والتقابلات والتقطيعات، والتكرارات وغيرها من الملامح الموسيقية التي تمنح الخطاب مزيداً من الإحساس بالتمائل، وتؤدي إلى إحياء داخلي ضمن جسم ذلك الخطاب برمزيات معينة، مما يدفع في نهاية المطاف إلى الإحساس بالانسجام التماثلي داخل ذلك الخطاب⁽²⁾.

5.1 التوازي والأساليب النحوية:

وبعد أن وضحتُ مفهوم التوازي، وقمتُ بربطه بعناصر الإيقاع، لا بد لي هاهنا أن أربط بين عناصر التوازي التركيبي والصرفي من جهة، والأساليب النحوية من جهة ثانية، باعتبار هذه الأخيرة محور الدرس في هذه الدراسة، ولا بد من توضيح بعض عناصرها.

¹. انظر: عبيد. القصيدة العربية الحديثة، ص: 18.

². انظر: خليل، إبراهيم (1997م). الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ودار الفارس، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ص: 105، والمسدي، عبد السلام (1994م). البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ص: 34.

يكثر الحديث عن الأسلوب ومفهومه عند الأدباء والنقاد أكثر من الحديث عنه عند اللغويين؛ وذلك لأن مفهوم الأسلوب في مستواه العام يتعلق بنواحي الطريقة والهيئة التي يُصاغ بها الكلام، فيكون بذلك علماً على صاحبه، فيقولون هذا أسلوب فلان، أي طريقته في التعبير، ومنهجه في الكتابة والتوضيح، ومن هنا كان حضور مفهوم الأسلوب عموماً عند أهل الأدب والنقد أكثر من حضوره عند أهل اللغة والنحو⁽¹⁾.

ومن هنا فالأسلوب ذو ارتباط وثيق بجوانب الموسيقى الداخلية، وعناصر الإيقاع، فهو مرآة ذلك الإيقاع، والكاتب الموفق هو الذي يستطيع أن ينقلك إلى جماليات أسلوبه من غير أن تحس بشيء من الكلفة، وبطريقة يمكنك معها أن تحس بجماليات هذا النمط الذوقي الأدبي⁽²⁾.

وربما شاع عند النقاد قديماً وحديثاً أن الأسلوب هو كافة أشكال التعبير الأدبي، فكل ما يدخل في إطار التعبير الأدبي لدى الكاتب أو المبدع يمكن أن يطلق عليه أسلوب، ومن هنا فالأسلوب اسم جامع لسائر أشكال التعبير الأدبي ضمن الخطاب الفني⁽³⁾.

ومن هنا أُطلق على بعض الأنماط التعبيرية الإنشائية في العربية أساليب، فالأمر والنهي مثلاً، والنداء، كلها أساليب يتوصل من خلالها المتكلم إلى توجيه المخاطب وفقاً للطريقة التي يريدها، ووفقاً للمعيار الذي يسعى إليه⁽⁴⁾.

وهذا الربط بين مظهر من مظاهر الخطاب الكلامي بين أفراد اللغة، وطبيعة النمط التخاطبي هو ما نقصد إلى توضيحه هاهنا، إذ إن لهذا النمط التخاطبي بين

¹ . الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (2000م). وحي القلم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 193.

² . مندور، محمد (2004م). في الميزان الجديد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 102.

³ . انظر: شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (د.ت). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية عشرة، ص: 293.

⁴ . انظر: حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (1996م). البلاغة العربية، دار القلم، دمشق - سوريا، والدار الشامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 68.

أفراد الطائفة اللغوية دوره في تشكيل عناصر الأسلوب، وهو ما نحاول الوصول إليه في تحديد مفهوم الأسلوب اللغوي أو النحوي على وجه التخصيص، فهو مرتبط بنمط تخاطبي معين، حتى صار يُطلق عليه مصطلح "أسلوب".

وقد كان البحث في طبيعة الأسلوب مشكلة منذ عهد أفلاطون، فالأسلوب من وجهة النظر الأفلاطونية صفة نوعية خاصة، إما قائمة وإما غير قائمة، فهي ليست شيئاً يضاف إلى الكتابة. كما أنها ليست مجرد شكل توضع فيه الكتابة، ولكنها صفة -إن وجدت- تتمثل فيما هو مكتوب⁽¹⁾.

ويورد عز الدين إسماعيل بعضاً من وجهات النظر الغربية في تحديد مفهوم الأسلوب، وذلك حين يقول: "قال بوفون: "إن الأسلوب هو الرجل نفسه" وكذلك عرف فلوبيير الأسلوب بأنه: "طريقة الكاتب الخاصة في رؤية الأشياء"، ويستطيع فلوبيير أن يستبدل بالرؤية الشعور أو التفكير فيقول: إن الأسلوب هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير أو الشعور. "والطريقة الخاصة في الشعور والرؤية تفرض طريقة خاصة في استخدام اللغة، فالأسلوب الصادق إذن يجب أن يكون فريداً إذا كنا نفهم من عبارة "الأسلوب الصادق" تعبيراً لغوياً كافياً كل الكفاية عن طريقة الكاتب في الشعور". معنى هذا أن الأسلوب ليس مجرد طريقة للكتابة يتعلمها من يشاء، ولكنه يرتبط عند كل كاتب بالإلهام الخاص الذي يدفعه إلى الكتابة، والذي يشكل هذه الكتابة، فهو الطريقة التي دفع بها هذا الإلهام ذلك الرجل بالذات إلى الكتابة، فالأسلوب "صفة لغوية" توصل بدقة العواطف أو الأفكار، أو مجموعة من العواطف والأفكار، الخاصة بالمؤلف، وحيث يتغلب الفكر يكون التعبير نثراً، وحيث تسود العاطفة يكون التعبير إما نثراً وإما شعراً. ويكون الأسلوب كاملاً عندما يتم توصيل الفكر أو العاطفة على الوجه الأكمل.. فالأسلوب يعتمد اعتماداً كلياً على هذه التوصيل الدقيق، إذا لم يوجد الأسلوب". وخلاصة كل هذا أن الأسلوب هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور، وفي نقل هذا التفكير وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة، وأن الأسلوب يكون جيداً بحسب درجة نجاحه في نقل ذلك إلى

¹. إسماعيل، عز الدين (د.ت). الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 22.

الآخرين، ويترتب على ذلك أن تقليد الكتاب في أساليبهم -إذا أمكن ذلك- لا يحدث مطلقاً في عمل إبداعي مبتكر؛ لأن المقلد إنما يعرض عندئذ شخصية أخرى، ولا يمكن في الحالة أن يكون له أسلوبه الخاص. فالكتاب لا يتكررون، وإنما هم أفراد متميزون. وكذلك الأسلوب، خاصية فردية متميزة⁽¹⁾.

فالأسلوب هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير مجتمعة، فعلى الدارس أن ينظر إلى الأسلوب من ناحيتين، هما شخصية الكاتب ثم طريقته في التعبير عن هذه الشخصية⁽²⁾.

إن الأسلوب هو الصورة اللفظية التي يُعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لتأدية الأفكار وعرض الخيال، ولا ينبغي أن يتصور الأسلوب من غير العناصر الأدبية وهي الأفكار، والصور الجزئية، والعبارة، والإيقاع، والعاطفة، وبهذه المقومات تكون وحدة النص في العمل الأدبي، بحيث لا يتأتى الفصل بين عناصره، ولا يسقط جزء من أجزائه⁽³⁾.

ومن هنا يمكننا القول إن الأسلوب هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم فيه... إنه باختصار طريقة التفكير والتصوير والتعبير⁽⁴⁾.

وبناء على ما سبق كله يمكن أن نشير إلى بعض الملحوظات التي استطعنا أن نلاحظها في حديث العلماء عن الأسلوب وهي كما يأتي:

1 . الاسلوب طريقة.

2 . الأسلوب نمط خاص بالكتابة.

¹ . إسماعيل. الأدب وفنونه، ص: 21 - 22.

² . نجم، محمد يوسف (1996م). فن المقالة، دار صادر، بيروت - لبنان، ودار الشروق، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ص: 98.

³ . صبح، علي علي (د.ت). الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 161.

⁴ . الشايب، أحمد (2003م). الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية عشرة، ص: 44.

3 . الأسلوب حالة فردية لا يمكن تقليدها من الآخرين .

4 . الأسلوب انتهاج نهج محدد في توصيل فكرة ما .

إن هذه الملحوظات التي استطعنا أن نلاحظها في مفهوم الأسلوب قد تقودنا للحديث عن مظاهر الأساليب النحوية التي نعرفها، وهي: الاستفهام، والتعجب، والنهي، والأمر، والنداء، وغيرها من الأساليب النحوية والتركيبية المختلفة والمتعددة.

ويمكننا أن نربط بين مظاهر التوازي التركيبي الصرفي من جهة، والأسلوب النحوي من جهة ثانية، باعتباره محور الدرس في هذه الدراسة.

فمن حيث التركيب، فإن الأساليب النحوية تأخذ نمطاً تركيبياً واحداً _ إلى حد ما - إذ يتكون الاستفهام مثلاً من: أداة الاستفهام (اسم/ حرف) + ما يُستفهم عنه، كما يتكون النداء من: أداة النداء + المنادى، وهكذا فإن الأساليب النحوية تأخذ نمطاً تركيبياً واحداً ضمن الأسلوب الواحد تقريباً، وهذا ما يدخلها في دائرة التوازي التركيبي.

أما من الناحية الشكلية، فهذه لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال النماذج التحليلية التي ستعرض لها الدراسة في الفصول المقبلة، إذ يتوازي الأسلوب النحوي مع نفسه أو مع أسلوب نحوي آخر من الناحية الصرفية الشكلية حين تتقارب الوحدات الكلامية في شكلها الخارجي، أو تتشابه، الأمر الذي يمنح المتواليات الكلامية مزيداً من مظاهر التوازي التركيبي الصرفي.

الفصل الثاني

مظاهر التوازي التركيبي الصرفي في الأساليب النحوية

يأتي هذا الفصل من الدراسة للحديث عن عناصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن مكونات السلسلة الكلامية المرتبطة بأسلوب نحوي ذاته، وليس الأمر مرتبطاً بتحول الأسلوب، وانتقاله من حال إلى أخرى، بل هو ضمن الأسلوب ذاته، ومن هنا فإنه يتحدث عن التوازي ضمن أسلوب الاستفهام، والشرط، والنداء، والحصر والقصر، والنهي، والنفي، والأمر، ويبين مكونات التوازي التركيبي بعلاقاته الأفقية، والتوازي الصرفي بعناصره البنائية.

وهذه الأساليب النحوية تدرج في أكثرها تحت مسميات الإنشاء، سواء أكان هذا الإنشاء طلبياً أم غير طلبي، فهي أساليب مخصوصة في الكلام، ولا بد من وجودها؛ لأنها تضي على الكلام رونقاً خاصاً، كما تمنح الأسلوب مزيداً من الجمال والفنية⁽¹⁾.

وربما نجد بعض الدارسين المحدثين يوسع من دائرة الأساليب النحوية، الأمر الذي قد يجعلها تشتمل على عناصر أخرى قد لا تكون منضوية تحت مفهوم الأسلوب بمعناه الحقيقي، كالتحذير مثلاً، فإن بعض المحدثين قد أدخله ضمن الأساليب النحوية التركيبية⁽²⁾، غير أن الباحثة لا تقول بهذا القول؛ لأن الأسلوب في نظرها لا بد أن يشتمل على دوال، والتحذير لا دوال له، فهو مجرد حذف للعامل الذي يحمل النصب في التحذير، فالمسألة تركيبية بحتة، وليس هناك أداة للتحذير.

¹. القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 1، ص: 70.

². حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (1996م). البلاغة العربية، دار القلم، دمشق - سوريا، والدار الشامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 221.

1.2 الاستفهام:

يشير مفهوم الاستفهام في معناه الأساسي إلى معنى الاستعلام، أي أن المتكلم يستعلم عما في ضمير المخاطب، هذا ما أوحاه لنا الجرجاني في حديثه عن مفهوم الاستفهام، وذلك إذ يقول: "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشئيين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"⁽¹⁾.

وهذا التعريف الذي قال به الجرجاني هو نفسه الذي قال به المناوي⁽²⁾، في حين يبين الكفوي أن كل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً؛ لأن الاستفهام يعني طلب الفهم، في حين أن الاستخبار طلب الخبر، وليس شرطاً أن يكون القصد من هذا الخبر الفهم، لذا فكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً⁽³⁾.

ويتميز أسلوب الاستفهام في اللغة العربية بأنه أسلوب جُملي، أي إنه يعتمد على تركيب جملة بأكملها، تسمى جملة الاستفهام، وهذه الجملة تبدأ بعنصر الاستفهام، وهو إما أن يكون حرفاً، أو اسماً، ومن ثم يأتي المستفهم عنه، فيقال: من الذي أتى؟ وهكذا من الجمل الاستفهامية القائمة على أساس هذا الأسلوب النحوي المباشر⁽⁴⁾.

ويمثل اسم الاستفهام الركن الأساسي الدال على معنى الاستفهام والجملة الاستفهامية بحد ذاتها، إذ لو أن هذا الركن ليس موجوداً في الجملة لما أمكن وصف هذه الجملة بأنها جملة استفهامية إلا من خلال السياق والمعنى، وبناء على التقدير، في حين أن أكثر الأحوال يكون فيها اسم الاستفهام مذكوراً في الجملة، وله

¹ الجرجاني. التعريفات، ص: 18.

² المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (1990م). التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 49.

³ انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ص: 83.

⁴ انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (1998م). ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 1053.

الصدارة، حتى لو كان ما بعده عاملاً فيه، فإنه يتقدم على عامله؛ لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الجملة⁽¹⁾.

وتنقسم أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام هي: أسماء، وظروف، وحروف، أما الأسماء فأربعة: ما، ومن، وأي وكم، فأما "ما" فيستفهم بها عما لا يعقل كثيراً، وعما يعقل قليلاً، وأما من فيستفهم بها عما يعقل كثيراً، وعما لا يعقل قليلاً، وأي: يُستفهم بها عن بعض من كل، وكم: يستفهم بها عن العدد، أما الظروف فهي: متى: سؤال عن الزمان، وأين: سؤال عن المكان، وكيف سؤال عن الحال، وأي حين: سؤال عن الزمان، وكذلك أيان، وأنى، أما الحروف فالهمزة و"هل"⁽²⁾.

ومن خلال هذا الحديث المقتضب عن مفهوم الاستفهام، وطريقته التركيبية التي يأتي عليها في العربية، يمكننا أن نلاحظ أنه أسلوب تركيبى نحوي متميز بطريقته التركيبية المتوافقة في أكثر الأحيان، إذ لا بد من المكونات الآتية فيه:
عنصر الاستفهام + ما يُستفهم عنه.

هذا بناء على صدارة أسماء الاستفهام، وانطلاقاً من هذه الفكرة وجدت الباحثة أن ثمة كثير من ملامح التوازي التي ترتبط بمكونات الجملة الاستفهامية ضمن القرآن الكريم، وفيما يلي ستورد أهم تلك المواضع التي رصدتها، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ"⁽³⁾.

يتبين لنا من خلال الآيات الكريمة السابقة أنها اشتملت على جملتي استفهام ابتدأت كل منهما بهمزة الاستفهام، وهمزة الاستفهام هي أصل الاستفهام، ولها من الخصوصية ما ليس لغيرها من أدوات الاستفهام الأخرى، فمن ذلك أنها قد تحذف شيئاً من الجملة، فلو قال قائل: مررت بزيد وعمرو، وأردت أن تستفهم لقلت: أبزيد

¹. انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد (د.ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن

مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج: 3، ص: 7.

². ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص: 227 - 228.

³. سورة النجم، آية: 20 - 22.

مررت؟ فحُذِفَ بعض الجملة، ومن ذلك أيضاً أنها تدخل على حروف العطف، فيقال: أفرأيت⁽¹⁾، على ما كان في الآية الكريمة.

وهناك تناسب في طبيعة إيراد الألفاظ ضمن هذه الآية الكريمة، إذ ما مناسبة اللات والعزى ومناة، وهي آلهة أهل الشرك في ربطها بالذكر والأنثى، وهو ما بيّنه ابن قتيبة حين ذكر أن المشركين كانوا يرون أن هذه الآلهة بنات الله، في حين أنهم لهم الذكور من الأولاد، فعقبت الآية الكريمة على ذلك بأن هذه القسمة قسمة باطلة جائرة⁽²⁾.

وهذه الآلهة التي كان يعبدها المشركون من دون الله تعالى ما هي إلا إناث، فهي اللات، والعزى، ومناة، وهذه كلها من الإناث؛ لذا جاءت الآية ببيان أن هذه القسمة جائرة، إذ كيف يجعلون لله الإناث، ولهم الذكور⁽³⁾.

وحين ننظر في الآيات القرآنية الكريمة السابقة نجد أنها تشتمل على عناصر التوازي التركيبي من جهة، وبعض ملامح التوازي الصرفي من جهة ثانية، إذ يتمثل هذا التوازي ضمن سلسلتين كلاميتين، هما كما يأتي:

السلسلة الأولى:

همزة الاستفهام فرأيتم اللات والعزى
... ومناة الثالثة الأخرى

ويظهر لنا من هذه السلسلة الكلامية أن همزة الاستفهام قد دخلت على طرفي هذه السلسلة، وذلك أن التقدير: أفرأيتم اللات والعزى، وأفرأيتم مناة الثالثة الأخرى،

¹. انظر: ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي (2001م). شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 101.

². انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (1978م). غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 428.

³. انظر: السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (1995م). نزهة القلوب، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ص: 81.

فعنصر الاستفهام مع الفعل الذي يليه ضمن هذه السلسلة الكلامية مقدر في طرفها الثاني.

هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام يشي بشيء من التوازن بين طرفي هذه السلسلة الكلامية، وبعض التوافق التركيبي بينهما، هذا التوافق ناشئ من معنى الاستفهام الداخل على هذه السلسلة الكلامية.

ومن جانب الصرف، فثمة توافق صرفي أيضاً بين عناصر هذه السلسلة الكلامية، فكلمة "اللات" يقابلها "مناة"، ففي حال وصل الكلام تلفظ التاء المربوطة تاءً، وهو ما يتوافق مع لفظ "اللات" بالتاء المبسوطة، وكذلك الأمر فثمة توافق بين "العزى" و"الأخرى"، فكلا اللفظين على زنة "فُعلى"، وهو ما يشير إلى نمطية التوازي بين هذه العناصر الصرفية في تشكيل بنية هذا الاستفهام الصرفية.

السلسلة الثانية:

الذكر	لكم	همزة الاستفهام
الأنثى	له	...

يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن همزة الاستفهام هي العنصر الواصل بين طرفي السلسلة الكلامية المعتمدة على الاستفهام كأسلوب نحوي في الوصول إلى عناصر التوازي.

وحين ننظر في النموذج السابق نجد أن كل طرف من طرفي السلسلة الكلامية مكون من:

همزة الاستفهام + شبه جملة من الجار والمجرور + اسم مرفوع في موضع المبتدأ. وهذا التوافق التركيبي الذي يلي عنصر الاستفهام ضمن طرفي السلسلة الكلامية يقدم لنا هذا التوازي التركيبي بينهما، كما يشير إلى بعض التوافق الصرفي.

فمن ملامح التوازي الصرفي في هذه السلسلة الكلامية ما يشير إلى عناصر الضدية ضمن هذه المكونات الصرفية، وذلك أن معنى هذه السلسلة الكلامية قائم على أساس من البنى المتخالفة، فالذكر يقابل الأنثى، وكل منهما ضد الآخر، كما أن الخطاب في "لكم" يقابل الغائب في "له"، وهذا فيه شيء من الضدية كذلك، هذا يعني

أنه ثمة بعض ملامح التوازي القائم على البنى المتخالفة ضمن التركيب الصرفي لهذه السلسلة الكلامية.

ولو نظرنا عموماً إلى السلسلة الكلامية بمجموعها، نجد أنها مشتملة على توازٍ صرفي يتمثل في توافق الأوزان ضمن "العزى، الأخرى، الأنتى، ضيزى" فهذه كلها على زنة "فُعلَى"، إلا أن "ضيزى" قُلبت فيها الضمة كسرة لمناسبة الياء بعدها، إذ لا يصح أن يأتي في الصفات "فُعلَى"، وهذا ما يدل على أنها "فُعلَى"⁽¹⁾، وهو توافق صرفي ضمن هذه البنى، مما يشير إلى توازيها مع بعضها.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى"⁽²⁾.

تتحدث هذه الآية الكريمة عن امتنان الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم بالنعمة التي أنعمها سبحانه وتعالى عليه، فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان يتيمًا، فأواه الله سبحانه، وكان عائلاً مفتقراً، فأغناه الله سبحانه وتعالى، وكان ضالاً عن الحق، فساقه سبحانه وتعالى إلى طريق الهداية والنور، فعرف الحق، وابتعد عن الباطل والضلال⁽³⁾.

وقد ابتدأت هذه الآيات الكريمة بقوله سبحانه "ألم" وهو استفهام بهمزة الاستفهام، وهي حرف الاستفهام الأول كما أشرنا من قبل، وفيها من المعاني ما فيها، إذ هي لا تختص بمعنى الاستعلام والاستخبار، ونحسب أنها تخرج إلى معانٍ أخرى

¹. سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1988م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد

هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ج: 4، ص: 364.

². سورة الضحى، آية: 6 - 8.

³. انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). المحرر الوجيز في

تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 494.

مختلفة⁽¹⁾.

والمعنى من هذا الاستفهام ينقسم إلى قسمين: الأول: التقرير، وهو تقرير الله سبحانه وتعالى هذه النعم على نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - وهي الإيواء والهداية والإغناء، والثاني: التذكير، أي أن هذا الاستفهام جاء ليذكر النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - بهذه النعم الجزيلة، والمنن العظيمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم⁽²⁾.

أما الأفعال "فأوى، فهدى، فأغنى" فهي على تقدير محذوف، وهو ضمير المخاطب "الكاف" إذ إن التقدير فيها: فأواك، فهداك، فأغنأك، غير أن هذه الكاف تحذفها العرب لدلالة السياق عليها⁽³⁾.

وحين ندقق النظر في الآيات الكريمة السابقة نجد أنها مشتملة على توازٍ تركيبى صرفي، هذا التوازي مرتبط ببنية أسلوب الاستفهام المائل لنا في هذه الآيات القرآنية الكريمة، إذ إن أداة الاستفهام "ألم" التي بدأت بها الآية الأولى، بقي تأثيرها بوجود العطف إلى الآيات التي تليها، فكان ذلك سبيلاً للوصول إلى ترابط المعنى بين هذه الآيات.

ويمكننا تمثيل السلسلة الكلامية في الآيات السابقة بما يأتي:

ألم يجذك بيتيماً فأوى
.. ووجدك ضالاً فهدى
... ووجدك عائلاً فأغنى

¹. انظر: المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (1993م). الجنى الذاني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 32.

². أبو حيان. ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج: 4، ص: 1861.

³. انظر: العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم (1999م). الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، ونصرة عبد الرحمن، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عمان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 151.

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق ماهية هذا التوافق المتوازي بين عناصر الجملة الاستفهامية ضمن السلسلة الكلامية، فإن أطراف هذه السلسلة تتكون من عنصر الاستفهام، يضاف إليه عنصر الفعل المشتغل على الخطاب للنبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - يلي ذلك صفة اتصف بها النبي الكريم، ثم فاء الجواب، يليها فعل يدل على ما أنعمه الله سبحانه وتعالى على عبده الكريم فأماط عنه تلك الصفة. ومن ناحية ثانية فثمة توافق صرفي يدل على عناصر هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية، هذا التوافق الصرفي يتمثل بما يأتي:

يتيماً ضالاً عائلاً

إن هذه الوحدات الكلامية الثلاثة تمثل صفات مشتقة يتصف بها الإنسان، اليتيم، والضلال، والعيلة، وهي صفات ثلاث تقابل بعضها ضمن السلسلة الكلامية السابقة، وهو توازي صرفي ضمن البنى المتوافقة. ويمكننا أن نلاحظ أيضاً:

فأوى ... فهدى ... فأغنى

هذه الأفعال الثلاثة كلها أفعال ماضية، وكلها مسندة إلى ضمير الغائب "هو"، وكلها تبدأ بفاء الجزاء، وعلاوة على هذا كله فكلها تنتهي بصوت الألف، وما ذاك إلا توافق صرفي بين هذه الأفعال المتقابلة ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، وهو ما دلت عليه الآيات الكريمة، وأشارت إلى وجود هذا التوافق الصرفي الذي ينحو بالسلسلة الكلامية نحو التوازي.

وعلاوة على وجود هذا التوازي التركيبي الصرفي ضمن السلسلة الكلامية السابقة، فثمة توافق دلالي بين هذه العناصر، فكل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يشتمل على صفة ثقيلة على النفس الإنسانية، صفة اليتيم، وصفة الضلال، وصفة العيلة، وهي متقابلة على ما أوضحنا، وكل طرف من أطراف هذه السلسلة الكلامية يشتمل على ما منَّ به الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، فلليتم كان الإيواء، وللضلال كان الهداية، وللعولة كان الإغناء، وهذا كله توافق دلالي قائم على أساس من البنى الصرفية والدلالية المتوافقة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْمُ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"⁽¹⁾.

تشتمل هذه الآية الكريمة على توازٍ تركيبى صرفي، ولكنه يختلف عن التوازي سابق الذكر في النماذج السابقة التي اعتمدت في مجملها على عناصر التوافق، فهنا الأمر مختلف، إذ ثمة بعض العناصر غير المتوافقة ضمن هذه السلسلة الكلامية، فالتوازي هاهنا توازٍ غير تام.

تشتمل الآية الكريمة على حديث مباشر من الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل من بعد موسى، فهم قد غلب عليهم عدوهم، فقال لهم نبيهم هل تقاتلون لو بعث الله لكم ملكاً يقاتل معكم؟ فكان ردهم وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله، وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا، ولكنهم لما كُتِبَ عليهم القتال تولوا عن هذا الأمر الإلهي، ولم يفعله إلا قليل منهم على ما ذكر في الآية الكريمة⁽²⁾.

والآية الكريمة السابقة تشتمل على ثلاث أدوات من أدوات الاستفهام هي: الهمزة في قوله: ألم، و"هل"، و"ما" الاستفهامية، أما الهمزة، و"هل" فأختان، والهمزة متصرفة في بابها أكثر من "هل"، إذ يجوز أن تدخل على الحروف نحو قولنا: ألم، في حين أن "هل" لا تدخل على الحروف كما هو الحال مع الهمزة⁽³⁾.

¹. سورة البقرة، آية: 246.

². انظر: الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 222.

³. انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1993م). المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 437.

أما المكون الاستفهامي الثالث في الآية الكريمة فهو "ما" الاستفهامية، وهي اسم استفهام وليس حرف كسابقتيها، وهي مبنية، كما أنها تشير إلى النكرة كثيراً، وإلى المعرفة قليلاً⁽¹⁾.

ونشير هاهنا إلى ما سبق ذكره، أن هذا التوازي ضمن أسلوب الاستفهام ما هو إلا توازٍ تركيبى ناقص، وليس تاماً كما هو الحال في النموذجين السابقين، ويمكننا أن نبين عناصر السلسلة الكلامية في هذا التركيب من خلال الجدول الآتي:

ألم تر إلى الملائم من بني إسرائيل ...
هل عسيتم إن كتب عليكم ...
ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن كل عنصر من عناصر الاستفهام يقابله عنصر آخر مختلف عنه، ففي الطرف الأول من أطراف السلسلة الكلامية نجد الهمزة الاستفهامية، وفي الطرف الثاني نجد "هل" وفي الطرف الثالث نجد "ما" الاستفهامية، وهذا فيه شيء من التخالف، وقيام هذا التركيب على جانب من جوانب البنى المتخالفة، خاصة إذا تذكرنا أن الهمزة و"هل" حرفا استفهام، في حين أن "ما" اسم استفهام، وهذا فيه تخالف صرفي نحوي كذلك.

وعلى الرغم من أن أداة الاستفهام في كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية قد أتبع بفعل، إلا أن هذا التشاكل التركيبى لم يصل إلى حد التوافق القائم على البنى المتوافقة، فالفعل الأول: "تر" وهو فعل مضارع مسند إلى ضمير المخاطب، والفعل الثاني: عسيتم، وهو فعل ماضٍ ناقص، مسند إلى ضمير المخاطبين، والفعل الثالث: ألا نقاتل، وهو فعل مضارع، مسند إلى جماعة المتكلمين، فمن هنا نجد أن هذه البنى متخالفة صرفياً وتركيبياً كذلك، فالتوازي هاهنا قائم على أساس البنى المتخالفة لا على أساس البنى المتوافقة.

¹. انظر: الشيباني، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد (1420هـ). البديع في علم العربية، دراسة وتحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 232.

وبناء عليه نجد أن النماذج القرآنية التي اشتملت على توازٍ تركيبى صرفي ضمن أسلوب الاستفهام منحت المعنى مزيداً من التناغم، ومزيداً من التوافق والتشارك، هذا علاوة على تلك النواحي الشكلية التي مُنحت للسلسلة الكلامية من خلال العناصر الصرفية المكونة لهذا التوازي، أو من خلال بعض العناصر الصوتية التي منحت الكلام مزيداً من الموسيقى الداخلية التي من شأنها أن تدعم التوازي ضمن السلسلة الكلامية المقصودة.

2.2 أسلوب الشرط:

وهذا النمط من الأساليب النحوية يقترب من أسلوب الاستفهام سابق الذكر، إذ ثمة مجموعة من العناصر الشكلية التي تربطها ببعضها البعض، وهو ما سنحاول ذكره تالياً.

يقصد بمصطلح الشرط ما يتوقف الحكم على وجوده، أي أن جزءه الأول يتوقف عليه حصول جزئه الثاني، فإذا وقع الجزء الأول، وقع الجزء الثاني منه⁽¹⁾. ومفهوم الشرط يرتبط بلزوم انعدام الشيء إذا انعدم الشرط، غير أنه لا يلزم وجود الشيء بوجود الشرط، وهو ما يتم به الشيء وهو خارج عنه⁽²⁾. ومن هنا يتضح لنا أن مصطلح الشرط ينطوي على طرفين، الطرف الأول: وجود هذا الشرط، فإن الحكم قد يترتب وقد لا يترتب في حال وجود الشرط؛ لأنه يعد متمماً للحكم لا عنصراً ضابطاً له، والحالة الثانية: ألا يوجد الشرط، وفي هذه الحالة يترتب عدم وجود الحكم، أي أن انعدام الحكم ملتزم في حالة انعدام الشرط، وليس ملتزماً في حالة وجود الشرط.

¹. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (2004م). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 77.

². السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا (1411هـ). الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 71 - 72.

وللشرط أدوات يُعرف بها في العربية، وتنقسم هذه الأدوات إلى ثلاثة أقسام هي، الظروف: وهي: أنى، ومتى، وأين، وحيثما، أما القسم الثاني فهو عوامل الشرط من الأسماء، وهي مثل: ما، ومن، وأي، ومهما، أما القسم الثالث: فهو من الحروف، وهي مثل: إن الشرطية، وتعد أم هذا الباب، وإذما، وقد جاء الشرط بالاسم والحرف والظرف؛ لاتساع معنى الشرط، وإن الأصل فيها جميعاً "إن" الشرطية، غير أن هذه الظروف والأسماء والحروف لما اشتملت على معنى "إن" أخذت حكمها في الشرط والجزاء⁽¹⁾.

ومن هنا فإن تركيب أسلوب الشرط يشتمل على شطرين، الأول: جملة الشرط، وهي التي تبدأ بأداة الشرط، سواء أكانت اسماً، أم حرفاً، أم ظرفاً، ومن ثم تأتي بقية هذا الشطر، ثم يأتي الشطر الثاني، وهو قسم الجزاء، وعادة ما يبدأ بالفاء، وقد تُحذف هذه الفاء وتقدر في الكلام، إذ لا بد من تقديرها؛ لأنها تعد رابطاً تركيبياً بين جملة الشرط، وجملة الجزاء⁽²⁾.

وفيما يلي سنورد الحديث عن بعض ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط في القرآن الكريم، وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"⁽³⁾.

اشتملت الآيات الكريمة السابقة على مجموعة من جمل الشرط التي تشكل مجتمعة توازياً تركيبياً صرفياً يدعم فكرة الآية التي جاءت تتحدث عن البحث

¹. انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق

عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ج: 2، ص: 46.

². انظر: النشرتي، حمزة عبد الله (1985م). الرابط وأثره في التراكيب في العربية، مجلة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة - السعودية، السنة: 17، العددان: 67،

ص: 68، 145.

³. سورة الأنعام، آية: 75 - 78.

الدُّوْب من سيدنا إبراهيم عليه السلام عن حقيقة من هو المستحق للعبادة والربوبية في هذا الكون.

يقول البيضاوي مبيِّناً ما كان من أمر إبراهيم حينما قال هذا الكلام: "فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، وجن عليه الليل ستره بظلامه والكواكب كان الزهرة أو المشتري وقوله: هذا ربِّي على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه. فلَمَّا أَقَلَ أي غاب. قال لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية"⁽¹⁾.

فالأيات الكريمة السابقة تشتمل على إشارات من إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بأن هذه الكواكب والأجرام السماوية، والأصنام ليست مستحقة للعبادة، بل إن الله سبحانه وتعالى وحده هو المستحق للألوهية والربوبية، وإنه لما أشار للشمس — "هذا" على الرغم من أنها مؤنث، فذلك إيراد لإشارته إليها بلسانه، فإن لسان قومه لم يكن يفرق بين المذكر والمؤنث من خلال اللفظ، وإنما من خلال القرائن، هذا علاوة على أنه أراد معنى الربوبية في هذه الإشارة⁽²⁾.

وقد افنتحت الجمل الشرطية في الآية الكريمة السابقة بعنصر الشرط "لَمَّا" إذ من أنواع "لَمَّا" أن تكون شرطية، وهي في هذه الحالة حرف لا اسم، ولا يليها إلا فعل ماضٍ مثبتاً أو منفيّاً⁽³⁾.

¹. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 169.

². أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (د.ت). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيلية، ودار القلم، دمشق — سوريا، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 194.

³. المرادي. الجنى الداني، ص: 594 - 595.

ويمكننا أن نلاحظ من خلال الآية الكريمة السابقة وجود التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط السابق، وهو في نظرنا ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ويمكن تمثيله بالجدول الآتي:

فلماً	جنّ عليه	الليل
فلماً	رأى	القمر
فلماً	رأى	الشمس

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن السلسلة الكلامية قد تشكلت من ثلاثة أطراف، كل طرف منها يتشكل من العناصر الآتية:

فلما + فعل ماضٍ + اسم (مرفوع أو منصوب)

وهذا التركيب يجعل هذه الأطراف متوازية تركيبياً في شكلها، انطلاقاً من دخول أداة الشرط عليها، وهي "لماً" على ما بيّنا.

وعلاوة على هذا التشاكل التركيبي بين هذه المكونات، فثمة توازٍ صرفي بين هذه العناصر ضمن كل طرف من أطراف المتواليّة الكلامية، فـ "لما" متشابهة بين العنصرين، والأفعال: جنّ، رأى، رأى، كلها أفعال ماضية، وهذا تشاكل صرفي، والأسماء التي تلي هذه الأفعال هي: "الليل، القمر، الشمس"، وهي كلها أسماء من صيغة صرفية واحدة، وهي صيغة "فعل"، باستثناء "قمر" فهي على زنة "فعل"، هذا يعني أنها متوافقة في صيغتها الصرفية، مما يدخل شيئاً من التوازي والتشاكل بين هذه المكونات التركيبية للكلمة.

ومن جانب آخر، فإن هذه الوحدات الثلاث: ليل، قمر، شمس، تنتمي إلى حقل دلالي واحد، إذ تربطها علاقات واضحة بين بعضها، وهي علاقة الجزء بالكل، فالقمر جزء من الليل، والشمس هي التي تنفي الليل، فمن هنا فإن هذا التوافق ضمن الحقل الدلالي الواحد يوحي بمزيد من التوازي ضمن عنصر الدلالة.

إذ تشير نظرية الحقول الدلالية إلى قطاع كامل من المادة اللغوية، التي ترتبط مع بعضها لتشكل حقلاً واحداً، وهذا الحقل لا بد أن يشتمل على مجموعة من العلاقات الناظمة للوحدات الكلامية داخله، كعلاقة الجزء بالكل، والترادف، والضدية، والاشتراك اللفظي، والسبب بالمسبب، إلى غير ذلك من العلاقات الناظمة للحقل

الدلالي الواحد، إذ عن طريق الاطلاع على بعض وحدات الكلام يمكن الوصول إلى دلالات غيرها ضمن علاقاتها النازمة في الحقل الدلالي الواحد⁽¹⁾.

أما القسم الثاني، فيمكن تمثيله بالجدول الآتي:

فلماً	أفلَ	قال: ...
فلماً	أفلَ	قال: ...
فلماً	أفلتُ	قال: ...

يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف هذه المتوالية الكلامية يتكون من:

فلماً + أفلَ + قالَ + جملة مقول القول

إن هذا التركيب المتوازي قد يصل إلى حد التكرار لقوة هذا التوازي الظاهر فيه، فإن تكرار "فلماً"، وتكرار "أفلَ"، وتكرار "قالَ" كلها دالة على هذا التوازي المباشر الواضح بين مكونات هذه المتوالية الكلامية، يزيد ذلك قوة التماثل الصرفي بين هذه الوحدات الكلامية جميعاً.

ويمكننا أن نجمع هذه الأطراف ضمن الجدول الآتي:

فلماً	جنّ عليه	الليل	فلماً	أفلَ	قال: ...
فلماً	رأى	القمر	فلماً	أفلَ	قال: ...
فلماً	رأى	الشمس	فلماً	أفلتُ	قال: ...

وهذا التوازي التركيبي الصرفي يقودنا إلى القول بتساوي المخلوقات جميعاً في العجز أمام ربوبية الله الواحد القهار، فلم يزد الكوكب على القمر شيئاً في الضعف والحاجة، وكذلك الحال في القمر، فإنه لم يزد شيئاً من القوة عن الشمس، فجميع هذه المخلوقات المسخرة لا ترقى إلى كونها مستحقة للعبادة من دون الله تعالى، وكلها متساوية في عجزها وفقرها وحاجتها إلى غيرها كي تتم دورها في الكون؛ فلما كانت محتاجة لغيرها لم تستحق العبادة من دون الله تعالى، هذا ما أوحاه لنا التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب الشرط في الآية القرآنية الكريمة.

¹. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (1998م). علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر،

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ" (1).

اشتملت الآيات السابقة جميعها على عبارات شرطية، افتتحت بأداة الشرط "إذا" ثم أتبعَت بالجملة الشرطية بعدها، وهو ما يشير إلى عنصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن هذه الآيات القرآنية الكريمة.

تتحدث هذه الآيات القرآنية الكريمة عما هو كائن يوم القيامة من تبدل الأحوال، وتغير الأمور، وظهور أهوال يوم القيامة، من تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وحشر الوحوش، وغير ذلك من الأهوال التي ستأتي يوم القيامة، وانكدار الشمس يعني انطفاءها، فقد أخذت العرب كلمة "كورت" عن الفارسية، وتعني أعمى، فكأن الشمس تغدو عمياء يوم القيامة (2).

وإذا نظرنا في تركيب هذه الآيات الكريمة جميعها، نجد أنها ابتدأت بأداة الشرط "إذا" ثم أتبعَت باسم مرفوع، وأدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال، فقدر البصريون فعلاً مضمراً، فالتقدير هاهنا: إذا كورت الشمس كورت، وإذا انكدرت النجوم انكدرت، إلى آخر هذه الآيات الكريمة، وهذا التقدير لا يصلح إلا في "إن" الشرطية،

1. سورة التكوير. آية: 1 - 13.

2. انظر: الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر (1988م). المجموع المغيَّب في غريب القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة - السعودية، ودار المدني، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 771.

و"إذا"، أما سواهما من أدوات الشرط فلا يجوز فيها ذلك⁽¹⁾، ومن هنا فإن جميع هذه الآيات الكريمة اشتملت على هذا الحكم النحوي.

وافتح هذه الآيات الكريمة بـ "إذا" الشرطية يدل على حتمية وقوع هذه الأحداث لا محالة، أي أن المتكلم والمخاطب يعلمان هذه الأحداث، وهذا ما لا يكون في سائر أدوات الشرط الأخرى، فلو قال قائل: إن تَأْتِي آتِك، لما كان الإتيان معلوماً، في حين لو قال: إذا تَأْتِي آتِيك، كان الإتيان معلوماً، وهو ما رأيناه ضمن الآيات الكريمة السابقة⁽²⁾.

وتشتمل الآيات الكريمة على توازنٍ تركيبى صرفي، وذلك ضمن أسلوب الشرط على ما سيبينه الجدول الآتي:

كُورِت	الشمس	إذا
انكدرت	النجوم	إذا
سيرت	الجبال	إذا
عُطَّت	العشار	إذا
حُشِرَت	الوحوش	إذا
سُجِّرَت	البحار	إذا
زُوجَّت	النفوسُ	إذا
سُنَّت	الموؤودة	إذا
نُشِرَت	الصحفُ	إذا
كُشِطَت	السماءُ	إذا
سُعِّرَت	الجحيم	إذا
أُزْلِفَت	الجنةُ	إذا

¹. انظر: السيرافي، أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله (1974م). شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 410.

². المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 56.

يتبين لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من العناصر التركيبية الآتية:

إذا + اسم مرفوع + فعل ماضٍ في صيغة ما لم يسمَّ فاعله
هذا التركيب النحوي الأسلوبي لم يتغير خلال هذه السلسلة الكلامية كلها، الأمر الذي يوحي بهذا التوازي التركيبي بين أطراف هذه السلسلة الكلامية.
ومن جانب آخر فإن البنية الصرفية لهذه المكونات فيها شيء من التوازي كذلك، فعلاوة على التشابه التكراري المائل في "إذا" فإن جميع العناصر التركيبية التي تلت "إذا" إنما هي من الأسماء، ولم يأتِ شيء من الأفعال، بل كان مقدرًا، الأمر الذي يشير إلى تشاكل هذه الوحدات الكلامية ضمن الأسلوب النحوي المخصوص.
ومن جانب آخر فإن الفعل الماضي الذي اختتم به كل طرف من أطراف هذه المتواليات الكلامية كان مبنياً للمجهول، أو على زنة "انفعل" ووزن "انفعل" يدل على ما يدل عليه المبني للمجهول، فإن الأصل التطوري لصيغة البناء للمجهول بدأت في اللغات السامية من صيغة "انفعل" وبقيت هذه الصيغة دالة على ما يدل عليه معنى المجهول إلى يومنا الحاضر، حتى إن صيغة "انفعل" تدل على البناء للمجهول في اللهجات المعاصرة، وتكاد تحل محلها في كافة الاستعمالات اللغوية للعربية في يومنا الحاضر⁽¹⁾.

ويمكننا أن نلاحظ من خلال هذا التوازي الصرفي التركيبي ضمن الآيات الكريمة السابقة أن هذه الأهوال والأحداث التي ستكون يوم القيامة سيكون لها الوقع ذاته في نفس البشرية آن ذاك، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هذه الأحداث ستكون متزامنة، فكان التوازي دليلاً على هذا التساوي والتزامن في وقوع هذه الأحداث يوم القيامة.

وقد يعتمد توازي العناصر التركيبية من خلال أسلوب الشرط على تحول الأسلوب ذاته من أداة شرط إلى أداة أخرى، وذلك نحو ما نراه في قوله سبحانه

¹. انظر: عبد التواب، رمضان (1995م). بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة -

مصر، الطبعة الثالثة، ص: 80.

وتعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْمُمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُو بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ"⁽¹⁾.

يمكننا أن نلاحظ تحول الشرط ضمن هذه الآية القرآنية الكريمة من "إذا" إلى "لو" في نهاية السلسلة الكلامية، وهذا التحول الأسلوبى يقود إلى تحول في التركيب، فيؤثر تأثيراً مباشراً في نمطية التوازي ضمن الآية القرآنية الكريمة.

وتبين هذه الآية القرآنية الكريمة مجموعة من الأسس القتالية التي يتوجب على المسلمين اتباعها في ساحة الحرب مع المشركين، وذلك أن عليهم القتال إذا تلاقوا مع هؤلاء المشركين، فإذا أكثروا فيهم القتل فعليهم أخذ الأسارى، ومن ثم فإن حكم هؤلاء الأسرى إما أن يطلقوهم مناً، أي دون مقابل، أو فداء، أي بمقابل، إلى أن تنتهي الحرب، هذا ولو أراد الله سبحانه وتعالى لانتصر من هؤلاء المشركين، ولكن حقت سنته في عباده كي يبلو الناس في دنياهم ببعضهم ببعض⁽²⁾.

إن أداة الشرط الأولى في هذه السلسلة الكلامية تتمثل بـ "إذا" وهي ظرف لما يُستقبل من الزمان، تقول: إذا قام زيد فالناس يستمعون إليه، فهذا يعني أن زيدا لم يبق بعد، وأنه إذا قام دلالة على المستقبل من الزمان لا على الماضي⁽³⁾.

ومن جانب آخر فإن "إذا" ظرف ملازم للإضافة، وتضاف إلى الجمل، ولا بد أن تكون الجملة التي تليها جملة فعلية لا اسمية، فإذا كانت اسمية لا بد من تقدير فعل بعدها⁽⁴⁾.

1. سورة محمد، آية: 4.

2. انظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 322.

3. انظر: أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب، ج: 3، ص: 1412.

4. انظر: البياتي، ظاهر شوكت (2005م). أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 18.

وتأتي لو في الكلام للدلالة على أن جوابها مرتبط بوقوع فعلها، فهي دالة على ما مضى من الزمان، تقول: لو أتيتني لأكرمك، فوقوع الإكرام لم يقع لعدم وقوع الإتيان، ولو أتى لأكرمه، وهي بهذه الحالة عكس "إن" الشرطية التي تدل على ما يُستقبل من الزمان، تقول: إن تأتي أكرمك، فالإتيان لم يقع بعد، ومن جانب المعنى فالمعنى متوافق بينهما، أي أنهما تدلان على الامتناع لامتناع⁽¹⁾.

وحين ننظر في الآية القرآنية الكريمة نجد أنها قامت على أساس من التخالف والمخالفة في تركيب عناصر الشرط، الأمر الذي قد يقود إلى شيء من التخالف ضمن ظاهرة التوازي التركيبي الصرفي في الآية الكريمة، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال الجدول الآتي:

لقيم	إذا
أثخنتموهم	إذا
يشاء	لو

فمن خلال الجدول السابق يمكننا أن نلاحظ أن أداة الشرط "إذا" قد أتت بالفعل الماضي، في حين أن أداة الشرط "لو" قد أتت بالفعل مضارع، وهذا فيه تخالف صرفي ضمن شكل الفعل، فهذا التخالف جاء موازياً للتخالف في أداة الشرط التي بدأ بها طرف المتوالية الكلامية.

وأياً يكن الأمر من التخالف بين عناصر السلسلة الكلامية الصرفية، فهناك توافق تركيبى يتمثل بـ:

أداة شرط + فعل

فهذا التركيب النحوي لجملة الشرط ضمن الآية الكريمة يدل على هذا التوافق التركيبى بينهما، غير أن التخالف الصرفي يقود إلى توازٍ غير تام، أي أنه من قبيل توازي البنى المتخالفة لا البنى المتوافقة.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نلاحظ كيف أن أسلوب الشرط قد اشتمل على مجموعة من العناصر التركيبية المتوازية ضمن آيات القرآن الكريم، وعلاوة على

¹. انظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله (د.ت). رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان - الأردن، ص: 60.

هذا التوازي التركيبي، فثمة عناصر صرفية متوازية تسير جنباً إلى جنب مع عناصر التوازي التركيبي، مما يمنح العبارة القرآنية مزيداً من الموسيقى الشكلية، والتناسق اللفظي، والتوازن في العبارة، وهو ما يجعل التراكيب أكثر قرباً من بعضها، مما يُفضي إلى التماسك والتناسق بين وحدات الكلام المختلفة، فيؤثر ذلك كله في تشكيل المعنى والدلالة.

3.2 أسلوب الاستثناء:

يعد الاستثناء واحداً من الأساليب النحوية العربية المتميزة في دلالتها، وعناصرها، إذ إن لعنصر الاستثناء في الكلام دلالاته الخاصة به؛ لأن مفهوم الاستثناء يشير إلى إخراج الشيء من الشيء؛ إذ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكماً فقط⁽¹⁾.

يعني ذلك أن الاستثناء يكون بإخراج عنصر من مجموعة من العناصر الأخرى الداخل فيها، فيكون لهذا الإخراج قصده ومراده، إذ لا بد من فائدة تُرجى من هذا الإخراج، وإلا كان هكذا دون فائدة تُرتجى.

ودالة الاستثناء في العربية هي "إلا" فهي حرف الاستثناء الأول، وما سوى هذا الحرف يعد تابعاً له، كما أوضح سيبويه، أن حرف الاستثناء "إلا"، غير أنه قد يأتي ما ينوب عن "إلا" في الكلام سواء أكان اسماً، أم حرفاً، أم فعلاً⁽²⁾.

أما الأسماء التي تأتي نيابة عن "إلا" في الاستثناء فغير، وسوى، وحاشى في بعض اللغات، أما الأفعال: فلا يكون، وليس، وخلا، وعدا، أما الحروف: فحاشى، وخلا، في بعض اللغات كذلك⁽³⁾.

وقد وجدت الباحثة أن الآيات القرآنية التي تشتمل على توازٍ تركيبى ضمن

¹. الجرجاني. التعريفات، ص: 23.

². سيبويه. الكتاب، ج: 2، ص: 309.

³. ابن جني. اللمع في العربية، ص: 66.

أسلوب الاستثناء قليلة جداً، ومن هنا فإنها تورد النموذج الآتي: "إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" (1).

تشتمل الآية القرآنية الكريمة السابقة على حديث عن صفات المؤمنين المصلين، فقد استنتهتهم الآيات الكريمة منذ البداية، وبينت ما فيهم من صفات الخير، فهم يحافظون على الصلاة، ويؤدون الزكاة، كما أنهم يصدقون بيوم القيامة، وحقيقة البعث، ويخافون عذاب النار، فهم أيضاً على إيمان تام بأن عذاب النار سيقع لا محالة بالمشركين، كما أنهم يحفظون أنفسهم من الوقوع في الزنا، ويحفظون فروجهم إلا على ما أحل الله لهم، هذه الصفات هي صفات المؤمنين حقاً، قد أجملتها الآية القرآنية الكريمة السابقة (2).

والاستثناء في بداية الآيات الكريمة ما هو إلا استثناء مما سبقه من الكلام، فقد قال سبحانه: إن الإنسان خلق هلوياً، ثم استثنى المصلين، فقال: إلا المصلين، فقد توصل المعنى إلى هذا الاستثناء، وإخراج المصلين من عموم جنس الإنسان أداة الاستثناء "إلا"، إذ بها وصل المعنى إلى هذا الاستثناء (3).

1. سورة المعارج، آية: 22 - 30.

2. انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 353 - 355.

3. انظر: المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 143.

وضمن هذه الآيات الكريمة يمكننا أن نلاحظ أن "إلا" مستمرة المعنى والدلالة عطفاً على الآية الأولى حتى استمرت في سائر الآيات الكريمة التالية، وذلك يظهر لنا من خلال الجدول الآتي:

إلا المصلين	الذين هم على صلاتهم دائمون
إلا المصلين	الذين في أموالهم حق معلوم
إلا المصلين	الذين يصدقون بيوم الدين
إلا المصلين	الذين هم من عذاب ربهم مشفقون
إلا المصلين	الذين هم لفروجهم حافظون

يتضح لنا من خلال الجدول السابق أن دالة الاستثناء "إلا" مشتركة في المعنى بين أطراف السلسلة الكلامية الخمسة، فإن دالة العطف هي التي أشارت إلى هذا المعنى الممتد عبر أطراف هذه المتوالية.

ويمكننا أن نبين تركيب كل طرف من أطراف هذه السلسلة على النحو:

إلا المصلين + الذين + جملة

فهذا النمط التركيبي المتكرر في أطراف السلسلة الكلامية يقودنا إلى القول بوجود هذا التوازي التركيبي ضمن أسلوب الاستثناء.

ومما يزيد هذا التوازي قوة وتأثيراً ما نلاحظه في البنية الصرفية لأطراف هذه المتوالية، إذ إن كثيراً من وحداتها الكلامية تتدرج تحت جمع المذكر السالم، مثل: المصلين، دائمون، مشفقون، حافظون، فهذه الوحدات الكلامية المتناسقة في دلالتها على الجمع، تؤدي إلى توازٍ صرفي ضمن هذه الآيات القرآنية الكريمة.

ومن جانب آخر فإن أطراف المتوالية الكلامية السابقة مشتملة على مجموعة من المشتقات الوصفية، مثل: المصلين، دائمون، معلوم، للسائل، المحروم، مشفقون، مأمون، حافظون، ملومين، فهذه الوحدات الكلامية جميعها دالة على صفة في هؤلاء المصلين الذين استثنتهم الآية القرآنية الكريمة الأولى.

ومن هنا يتضح لنا أن عناصر التوازي التركيبي، وعناصر التوازي الصرفي قد تظافرت ضمن أطراف السلسلة الكلامية السابقة، لتشكل في مجموعها دلالة على

معنى متناسق، وصفات متناسقة في المصلين، فليس لصفة من هؤلاء أهمية أكبر من أختها _ على صعيد الإيمان _ فهذه الصفات جميعها يجب أن تتوافر في المؤمن إيماناً حقيقياً، ومن هنا كان التوازي التركيبي الصرفي سبيلاً لزيادة الإدلال على هذا التساوي في قيمة هذه الصفات بالنسبة للإيمان.

وكما أشرنا من قبل، فإن الآيات القرآنية الكريمة المشتملة على توازنٍ تركيبى صرفي ضمن أسلوب الاستثناء قليلة جداً في كتاب الله تعالى، إذ لم تعثر الباحثة إلا على هذا الموضوع في كتابه سبحانه وتعالى.

4.2 أسلوب النداء:

أسلوب النداء شأنه كشأن سواه من الأساليب النحوية التي ذكرناها سابقاً، وهو يختص بالأسماء دون غيرها من أشكال الكلام، إذ يشير مفهوم النداء إلى أسلوب نحوي يُطلب فيه إقبال المنادى بحرف ظاهر أو مقدر، وهذا الحرف ينوب مناب أدعو في الكلام⁽¹⁾.

يعني أن النداء على تقدير أدعو، أي إن قولنا: يا زيد، التقدير فيه: أدعو زيدا، فناب حرف النداء "يا" عن الفعل "أدعو".

أي أن للنداء مجموعة من الحروف التي تختص به دون سواه من المعاني النحوية الأخرى، ويتوصل من خلال هذه الحروف إلى النداء⁽²⁾.

وهذه الحروف خمسة هي: يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، وإن إطالة الصوت بهذه الحروف تدل على أن المنادى غافل، أو نائم، أو بعيد، ويجوز أن تحل الأربعة حروف محل الهمزة، في حين أن الهمزة لا تحل محل هذه الحروف الأربعة الأخرى، كما يجوز حذف أداة النداء، وتقديرها في الكلام تقديراً، إلا أنه لا يجوز حذفها مع اسم الإشارة، أو النكرة، فتقول مثلاً: هذا، وأنت تريد "يا هذا"، أو تقول:

¹. الجرجاني. التعريفات، ص: 231.

². السيوطي. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 89.

رجل، وأنت تريد "يا رجل"، ويصح حذفها - أي حرف النداء - في المواضع الأخرى⁽¹⁾.

وفي الصفحات المقبلة سنتناول الباحثة الحديث عن بعض ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن أسلوب النداء في القرآن الكريم، وأول هذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ"⁽²⁾.

تشتمل الآيات الكريمة السابقة على حديث لنبي الله هود - عليه السلام - مع قومه الذين لم يستمعوا إلى دعواه، فبين لهم هود عليه السلام أن ما يدعون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم، وأن عبادة الله سبحانه وتعالى هي السبيل الأوحد للخلاص من مظاهر العبودية في الأرض لغيره سبحانه، وأنه وحده القادر على أن يرسل السماء عليهم مدراراً ويمدهم بالثمرات، ويزيدهم من القوة، فهو سبحانه وحده المتصرف بهذه الأمور، غير أنهم أعرضوا عن دعواه، ولم يستمعوا إليه، فكان عاقبتهم العذاب الأليم⁽³⁾.

ويظهر لنا من خلال الآية الكريمة أن أداة النداء التي تكررت واعتمد عليها هذا التوازي هي "يا" التي للنداء، وهي أم هذا الباب، وقد نابت عن الفعل كما بينا أعلاه، فالتقدير: أدعو قومي، أو أدعوكم يا قوم⁽⁴⁾.

¹. ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ج: 1، ص: 329.

². سورة هود، آية: 50 - 52.

³. انظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 173.

⁴. انظر: ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1990م). شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 385.

ومن الآيات الكريمة التي تشتهر مع هذه الآية في طريقة النداء وشكله، ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الرَّحْمَةِ مَنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ انزِمُكُمُوهَا وَأْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" (1).

فهذه الآيات القرآنية الكريمة تتحدث عن مخاطبة نبي الله نوح - عليه السلام - لقومه، ومحاجته إياهم كي يتركوا ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، وأن عليهم عبادة الله وحده، ولكنهم أعرضوا عنه كذلك، وابتعدوا عن طريق الهداية، فكان عاقبتهم العذاب الأليم (2).

وقد اعتمد هذا التوازي أيضاً على دالة التوازي "يا" في الآيات الكريمة السابقة، وهو اعتماد مشابه لما كانت عليه الآيات الأولى.

ويمكننا أن نوضح هذا التوازي التركيبي من خلال الجدول الآتي:

يا قوم	اعبدوا الله
يا قوم	لا أسألكم عليه
يا قوم	استغفروا ربكم
يا قوم	أرأيتم إن كنت على بينة
يا قوم	لا أسألكم عليه
يا قوم	من ينصرنني من الله

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن أطراف المتوالية الكلامية تشتمل على العناصر التركيبية الآتية:

يا قوم + جملة

وقد كانت المجموعة الأولى من هذه السلسلة الكلامية متسقة العناصر الصرفية إلى حد ما، وذلك أنها اشتملت على فعل بعد "يا قوم"، فكان ذلك له أثره في توازي

¹. سورة هود، آية: 28 - 30.

². انظر: الجوزي. زاد المسير، ج: 2، ص: 369.

الجملة التركيبية والصرفي، إذ إن الأفعال: اعبدوا، ولا أسألكم عليه، واستغفروا، جميعها أفعال وليست أسماء ولا حروفاً.

في حين أن أطراف المتوالية الثانية لم تكن بهذا القدر من الاتساق، فإن الكلمات التي تلي "يا قوم" ليست من جنس واحد، بل هي: أرأيتم، ولا أسألكم، ومن ينصروني، فعدم الاتساق هذا يقودنا إلى القول بأن هذه الأطراف من السلسلة الكلامية اعتمدت اعتماداً واضحاً على المخالفة بين عناصر هذا التوازي، أي أنه قام على أساس البنى المتخالفة.

وعلاوة على هذا كله فإن الأطراف الأولى من السلسلة الكلامية لم تصل إلى حد التشاكل التام، وإنما اشتملت على بعض ملامح التشاكل، فالتوازي هاهنا ليس توازياً تاماً.

وهذا يقودنا إلى شيء انعكس على الدلالة، وذلك أن عدم التشاكل هاهنا يدل على ما كان عليه هؤلاء القوم من البلبلة وعدم اتضاح الموقف أمام ما تمليه عليهم فطرتهم السليمة، وإنما أصابهم الغرور، ولم يستمعوا إلى كلام أنبيائهم، فهذه البلبلة، وذلك الغرور يقابل عدم التشاكل في عناصر التوازي التركيبية الصرفي المعتمد على النداء.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" (1).

تتحدث هذه الآيات الكريمة عن ذلك الخطاب الذي جرى بين سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه، وهو يجادله في أمر الانقياد لعبودية الله سبحانه وتعالى، وترك عبادة الأصنام، فإن إبراهيم - عليه السلام - بين لأبيه أنه يعبد من الأصنام ما لا ينفعه ولا يضره، ويبين له أنه قد نزل عليه من العلم ما لم يكن متاحاً لأبيه،

¹. سورة مريم، آية: 41 - 45.

فإن أطاعه فإنه سيدخله الجنة، ثم بيّن لأبيه أن عليه ألا يتبع سبيل الشيطان، فإنه يضلّه عن السبيل، ومن يطع الشيطان يصبح ولياً له⁽¹⁾.

والتوازي في هذه الآيات الكريمة معتمد على عنصر النداء "يا" وقد ارتبط بقوله: يا أبت، وهذا من قبيل التلازم بين أداة النداء وهذه الكلمة، وإنما كانت التاء بالكسر لأنها - أي التاء - عوض عن ياء المتكلم في هذا السياق، فإنهم ألزموا هذه التاء الكسر، فكانت عوضاً عن الياء، ولم يلحقوا الياء في نهاية هذا التركيب الندائي⁽²⁾.

ويمكننا أن نقسم هذا التوازي في الآيات الكريمة إلى قسمين:

القسم الأول: وهي الجمل:

يا أبت لم تعبد...

ويا أبت لا تعبد الشيطان...

أما القسم الثاني: فهي الجمل:

يا أبت إني قد جاءني من العلم...

ويا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب...

ويمكننا أن نوضح عناصر هذا التوازي من خلال الجدول الآتي:

يا أبت	لم	تعبد...
يا أبت	إني	قد جاءني....
يا أبت	لا	تعبد...
يا أبت	إني	أخاف أن يمسك....

فظاهر لنا من خلال الجدول السابق توازي العناصر: يا أبت، وإن، ولم، ولا، فإنها في هيئتها الصرفية متقاربة، مما قد يوحي بشيء من التوازي بينها، وكذلك الحال في المكون الثالث لكل طرف من أطراف المتوالية، فهو جملة فعلية، وهي:

¹. انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). الجامع لأحكام القرآن،

تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ج: 11، ص: 111 - 113.

². انظر: الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 1، ص: 399.

تعبد، قد جاءني، تعبد، أخاف، فهذا التشاكل في الجملة الفعلية ضمن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يقود إلى توازي تركيبى أولاً، ثم إلى توازي صرفي. وعلى الرغم من وجود هذا التوازي ضمن الآيات الكريمة السابقة، إلا أنه توازي لم يرق إلى كونه توازياً تركيبياً صرفياً تاماً، بل بقي التوازي ناقصاً، إذ إن العناصر التركيبية لم تكن متوافقة بقدر كبير، علاوة على أن العناصر الصرفية لم تكن هي أيضاً متوافقة.

إن عدم التوافق في السلسلة الكلامية من حيث تمام التوازي التركيبى الصرفي اللغوي يمكن لنا أن نشير من خلاله إلى الاحتجاج الدؤوب بين سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه، فهذا الاحتجاج الواسع بينهما، يقابل عدم التوازي التام ضمن هذه الآيات القرآنية الكريمة.

5.2 أسلوب الحصر والقصر:

يمثل أسلوب الحصر والقصر في العربية مزجاً بين عناصر التركيب، وعناصر الدلالة، خاصة إذا أخذنا في اعتبارنا وجود مجموعة من الأدوات تشير إليه، إذ يشير الجرجاني إلى مفهوم القصر ذكراً الحصر، قائلاً: "في اللغة الحبس، يقال، قصرت اللقحة على فرس، إذا جعلت لبنها له لا لغيره، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصوراً، والثاني: مقصوراً عليه، كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: إنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل، نحو: ما ضربت إلا زيدا"⁽¹⁾.

هذا يعني أن مفهوم الحصر والقصر يدل على عنصرين، الأول: مقصور، والثاني: مقصور عليه، كحصر المبتدأ في الخبر، وكحصر الفاعل في المفعول، وهكذا على ما بين الجرجاني في كلامه السابق، ولا بد من وجود أدوات تركيبية تدل على هذا الحصر والقصر، ومن أهمها كما ورد في المثاليين السابقين: إنما، وما مع إلا.

¹. الجرجاني. التعريفات، ص: 175.

والأصل في الحصر والقصر أن يكون بـ "ما وإلا" غير أن العرب ضمنت "إنما" معناهما، فكان لها المعنى والدلالة ذاتها، ولكن ضمن تركيب نحوي مختلف له التصدر في جملة الحصر والقصر⁽¹⁾.

وفيما يلي سنورد عدداً من النماذج القرآنية التي اشتملت على توازنٍ تركيبى صرفي متعلق بالدلالة والمعنى ضمن آيات القرآن الكريم، وأول هذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"⁽²⁾.

تتحدث هذه الآيات الكريمة عن المعية الإلهية التي تصحب الناس أينما كانوا، فلا تقع النجوى من أحد إلا والله يعلم ما يتناجون فيه، ولا سبيل لإنكاره، فإذا تناجى ثلاثة أشخاص فإن الله رابعهم، وإذا تناجى أربعة فالله خامسهم، وهكذا، فلا يزيد العدد ولا يقل إلا والله معهم أينما كانوا، وهو بكل شيء عليم⁽³⁾.

اشتملت الآية القرآنية الكريمة على ظاهرة لغوية تتمثل باشتقاق اسم الفاعل من العدد، كقوله: رابعهم، سادسهم، والمعنى أن المتناجين ثلاثة والله رابعهم، أو هم خمسة والله سادسهم، ولكن لو قيل: هذا ثالث ثلاثة، أو ثاني اثنين، فالمعنى مختلف، فتاني اثنين: أي إنه أحد الاثنين، فهذا الوجه يختلف عما ورد في الآية الكريمة⁽⁴⁾.

1. انظر: المرادي. الجنى الداني، ص: 397.

2. سورة المجادلة، آية: 7.

3. انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 42.

4. انظر: المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 181.

وقول العرب مثلاً: هذا رابع ثلاثة، لا يعني أنه جاء بعد هؤلاء الثلاثة، فأكملهم على أربعة، وإنما هو معهم أصلاً، أي أنهم أربعة أصلاً، فقيل عن أحدهم إنه رابع ثلاثة، أي أنه مع الثلاثة الآخرين يشكلون العدد أربعة، هذا المقصود برابع ثلاثة⁽¹⁾. وفي هذا الكلام لفظة دلالية تتمثل في أن الله سبحانه وتعالى لم يأتِ إلى الثلاثة وصار رابعهم، وإنما هو معهم أصلاً، فلم يكن طارئاً عليهم - حاشى الله ذلك - وهذا مقصود الآية القرآنية الكريمة.

وهذه الآية الكريمة كما نرى تشتمل على توازٍ تركيبى صرفي ضمن أسلوب الحصر والقصر، ويظهر لنا ذلك من خلال التمثيل في الجدول الآتي:

ما يكون	ثلاثة	إلا	هو	رابعهم
ولا	خمسة	إلا	هو	سادسهم

يظهر لنا من خلال الجدول السابق كيف توزعت الوحدات الكلامية ضمن طرفي السلسلة الكلامية، إذ تشكلت من العناصر الآتية:

ما/ لا + عدد + إلا + هو + اسم فاعل دال على العدد

وهذا التركيب النحوي المتشاكل في الآية القرآنية الكريمة يقود إلى التوازي التركيبى المتمثل بهذه العلاقات الأفقية ضمن الآية القرآنية الكريمة، وهو ما يمنح هذه الآية مزيداً من التشاكل والتناسق.

أما من الناحية الصرفية، فنجد أن العناصر المتقابلة متشاكلة صرفياً، كما يأتي:

ثلاثة ... خمسة

فكلتا الوجدتين الكلاميتين تدل على العدد، وكذلك الحال في الوجدتين الكلاميتين:

رابعهم ... سادسهم

فكلتا الوجدتين أيضاً تدل على العدد، وکلتاها تدل على صيغة اسم الفاعل، وذلك من خلال صيغتها الشكلية.

إن هذا التناسق الصرفي يقود إلى توازٍ بين طرفي السلسلة الكلامية ضمن الآية القرآنية الكريمة، وهو ما نود الإشارة إليه هاهنا.

¹. انظر: السيرافي. شرح كتاب سيويوه، ج: 4، ص: 292.

ولهذا التوازي ضمن الآية القرآنية الكريمة دوره في صناعة الدلالة والمعنى، فإن توازي طرفي السلسلة الكلامية يقابل تساوي الأمور عند الله سبحانه ضمن علمه بالغيب، فلا يختلف الأمر بين أن ينتاجي ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر من ذلك، فالأمر سيان عنده سبحانه، فهو معهم أينما كانوا، وهذا ما اختتمت به الآية الكريمة. وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: "مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ آمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (1).

تتحدث هذه الآية القرآنية الكريمة عن محاجة سيدنا يوسف - عليه السلام - لصاحبي السجن حينما سألاه عن رؤياهما، فما كان منه إلا أن بين لهم أن الدين القيم لا يكون إلا بعبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وأن الأوثان التي يعبدها الناس من دون الله ما هي إلا أسماء، لا تضر ولا تنفع، ولا تقدم ولا تؤخر، ومن هنا فإنه سبحانه وتعالى وحده المستحق للعبادة، ووحده المستحق للربوبية، وأن هذه الأسماء لا تستحق شيئاً (2).

ونلاحظ من خلال الآية القرآنية الكريمة اختلاف عناصر الحصر والقصر، خاصة العنصر الأول، وهو ما أدى إلى احتمال كون هذا التوازي من قبيل التوازي الناقص، وليس توازياً تاماً.

وقد ورد في الآية الكريمة عبارة: "إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ، فَـ" "إِنَّ" هذه هاهنا بمعنى "ما" أي: ما الحكم إلا لله، فكانت هذه تدل على الحصر والقصر ضمن الآية الكريمة (3). فـ "إِنَّ" هاهنا بمعنى "ما" وسيبويه لا يرى إعمالها، فالمبتدأ والخبر مرفوعان معها، غير أن المبرد يرى إعمالها، شأنها شأن "ما" الحجازية، و"إِنَّ" هذه قد تتبع بـ

1. سورة يوسف، آية: 40.

2. انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (د.ت). النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 5، ص: 397.

3. انظر: الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 2، ص: 425.

"إلا" كما ورد في الآية الكريمة، وقد لا تتبع بها، فيقال: إن يقوم زيد، أي: ما يقوم زيد، فالتصد منها هاهنا النفي⁽¹⁾.

وإذا تلا "إن" التي بمعنى "ما" حرف الاستثناء "إلا" انتقل الكلام إلى الحصر والقصر، مثل: إن زيد إلا قائم، فالمعنى: ما زيد إلا قائم، فينتقل التركيب إلى حالة الحصر والقصر، ويترتب على هذا انحصار الدلالة وقصرها ضمن تركيب الجملة المخصصة⁽²⁾.

وحينما ننظر في الآية الكريمة نجد أنها دون شك تشتمل على توازي لغوي، على النحو التالي:

ما	تعبدون	إلا	أسماء
إن	الحكم	إلا	الله
ألا	تعبدوا	إلا	إياه

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق ذلك التوافق التركيبي بين أطراف هذه السلسلة الكلامية، إذ يتشكل كل طرف من أطراف هذه السلسلة من العناصر الآتية:
أداة نفي + اسم/ فعل + إلا + بقية الجملة

هذا التركيب المتوافق بين عناصر الكلام يدل على توازي تركيبى ضمن هذه السلسلة الكلامية، وهو توازي يمنح السلسلة الكلامية مزيداً من التوافق والانسجام، والترابط، الأمر الذي يجعلها أكثر تأثيراً في نفس المتلقي.

وعلاوة على التوازي التركيبي ضمن هذه الآية الكريمة فنمة بعض ملامح التوازي الصرفي المتمثل في تكرار الفعل "تعبدون، وتعبدوا" بصيغته الصرفية ذاتها، الأمر الذي يشي بشيء من التوافق الصرفي بين هذه العناصر اللغوية والوحدات الكلامية.

¹. انظر: ابن يعيش. شرح المفصل، ج: 5، ص: 39.

². انظر: شاهنشاه، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد (2000م). الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 1149.

وقد بُنيت بعض عناصر هذه السلسلة الكلامية على شيء من التخالف والافتراق، الأمر الذي يدفع بعض مكوناتها نحو توازي البنى المتخالفة، وذلك نحو ما رأينا في أدوات الحصر والقصر، إذ تقابلت: ما، وإن، ولا، في جملة الحصر والقصر، وتعاقت هذه المكونات التركيبية ضمن هذه السلسلة الكلامية، مما جعلها تتحو نحو البنى المتخالفة.

ومن جانب الدلالة يمكن لنا أن نربط هذا التوازي التركيبي الصرفي القائم على أساس من تكرار البنى المتشابهة والمتشاكلة بالمعنى العام للآية الكريمة، فكما بينا من قبل، فإن هذه الآية الكريمة تدعو إلى وحدانية الله سبحانه في ربوبيته، وألوهيته، فلا يصح لأحد من خلقه أن يدعي الألوهية، ولا يصح لأحد من خلقه أن يعبد سواه⁽¹⁾، فكما انحصرت هذه الربوبية والألوهية فيه سبحانه وتعالى، كان التركيز على أسلوب الحصر والقصر ضمن التوازي التركيبي الصرفي في الآية الكريمة. وهكذا يظهر لنا من خلال النماذج القرآنية السابقة كيف أن أسلوب الحصر والقصر قد جاء ضمن أطر تركيبية صرفية متوازية في كتاب الله تعالى، وقد كان لهذه الأطر التركيبية الصرفية دورها في تشكيل المعنى، وصياغة الدلالة، إذ ارتبطت هذه الدلالة بعناصر التوازي المضمنة في الآية الكريمة، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في تحقيق المعنى المراد ضمن سياق النص القرآني الكريم.

6.2 أسلوب الأمر:

وهو أحد الأساليب النحوية في اللغة العربية، ويشير إلى استدعاء حدوث الفعل ممن هو دونه، نحو قولنا للشخص: افعل كذا، فهذا استدعاء حدوث الفعل، وهو حقيقي في القول، مجازي في الفعل⁽²⁾.

¹ . القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت). لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ج: 2، ص:

² . السنيكي. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص: 84.

وقيل في معنى الأمر أنه الطلب الجزم، والاقترضاء الحتم، كما قيل إنه طلب اتحاد المأخوذ⁽¹⁾.

فمفهوم الأمر في الاصطلاح يشير إلى عنصر دلالي سياقي، يتمثل بطلب حدوث الفعل من الشخص على سبيل الأمر، أي على سبيل الطلب، وهذا الطلب يكون جزمًا، وعلى المخاطب أن يفعل هذا الطلب حتمًا.

ونحن في هذا السياق لا نتحدث عن الأمر بوصفه فعلاً، وإنما بوصفه أسلوباً، يعني أن المقصود به معنى الأمر ضمن سياقاته المختلفة، ومن هنا فقد بين النحاة أن الأمر ينقسم إلى قسمين هما: الأول: ما كان بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع، نحو: ليقم زيد، وليذهب عمرو، فهذا مجزوم بلام الأمر الداخلة على هذا الفعل، والثاني: ما كان بفعل الأمر ذاته، مثل: قم، واذهب، وهكذا، فهذا مبني على ما يُجزم به مضارعه⁽²⁾.

ونرى النحاة يربطون عادة بين الأمر والنهي في حديثهم النظري عن هذين الأسلوبين، فيقولون مثلاً: هذا باب الأمر والنهي⁽³⁾، وذلك عائد إلى طبيعة اشتراك المعاني بين هذين الأسلوبين، إذ إن النهي في حقيقته الدلالية أمر، غير أنه جاء بصيغة طلب ترك الفعل، أو عدم الفعل على ما سنبيين في الجزء المقبل من هذا الفصل.

وفيما يأتي بعض النماذج القرآنية على التوازي ضمن أسلوب الأمر، وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَاتِنِينَ"⁽⁴⁾.

1. السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 66.

2. المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 131.

3. انظر: سيويه. الكتاب، ج: 1، ص: 137، والسيرافي. شرح كتاب سيويه، ج: 1، ص:

4. سورة البقرة، آية: 238؟

تتحدث هذه الآية الكريمة عن الأمر الرباني لعباده المؤمنين بأن يحافظوا على الصلاة، وقد خص منها سبحانه الصلاة الوسطى، التي قيل إنها الفجر، وقيل إنها العصر، ثم كان الأمر الإلهي بأن يقوم الناس لله قانتين⁽¹⁾.

إن العطف في قوله سبحانه "والصلاة الوسطى" جاء لمعنى في الآية الكريمة، ولم يكن هكذا، بل كان له معناه، وذلك أنه أراد بالحديث عن الصلاة الوسطى تخصيصها دون سواها من سائر الصلوات، فالعطف هاهنا جاء للتخصيص⁽²⁾، وهو من قبيل عطف الخاص على العام⁽³⁾.

ونرى أن فعلي الأمر "حافظوا، وقوموا" في الآية الكريمة قد بُنِيَ على حذف النون من آخرهما؛ لأنهما مسندان إلى واو الجماعة، إذ حينما يُسند فعل الأمر إلى واو الجماعة يُبنى على حذف النون من آخره، وكذلك الحال إذا أُسند إلى ألف الاثنين أو ياء المخاطبة⁽⁴⁾.

وحينما ننظر في الآية القرآنية الكريمة نلمس فيها توازياً تركيبياً ضمن أسلوب الأمر، وذلك كما يتضح ضمن الجدول الآتي:

حافظوا	على	الصلوات
قوموا	اللام	الله

إذ يتضح لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من:

فعل أمر + واو الجماعة + حرف جر + اسم مجرور

¹. انظر: ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (1998م). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 4، ص: 226.

². أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب، ج: 4، ص: 1907.

³. ابن هشام. أوضح المسالك، ج: 3، ص: 321.

⁴. انظر: الجارم، علي، وأمين، مصطفى (د.ت). النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، المكتبة المصرية السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 111.

هذا التركيب المتشابه بين طرفي السلسلة الكلامية من شأنه أن يشكل نموذجاً للتوازي التركيبي الذي يؤثر في طبيعة المعنى، وهذا التوازي التركيبي يسير جنباً إلى جنب مع التوازي الصرفي ضمن هذه السلسلة الكلامية.

إذ يظهر لنا التوازي التركيبي في هذه الآية الكريمة من خلال وجود فعل الأمر بصيغته الأساسية ضمن هذه الآية الكريمة، فهذا التشاكل بين فعلي الأمر يقود إلى توازيهما، وكذلك الحال في إسنادهما إلى واو الجماعة، ووجود حرف الجر بعد الفعل، إذ تلا الفعل "حافظوا" حرف الجر "على" وتلا الفعل "قوموا" حرف الجر "اللام"، فمن هنا نشأ التشاكل الصرفي القائد إلى التوازي الصرفي في الآية الكريمة. وهذا التوازي جاء موافقاً للمعنى الذي عليه الآية الكريمة، وهو معنى متمثل بأمر الله تعالى لعباده المسلمين بأن يحافظوا على الصلوات، وأن يقوموا لله، فكان أسلوب الأمر موافقاً لما عليه معنى الآية القرآنية الكريمة، وهو طبيعة التكليف الإلهي لعباده بالصلاة والقيام.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"⁽¹⁾.

إن هذه الآية القرآنية الكريمة وإن اشتملت على أفعال أمر، فهي في حقيقة معناها لا تدل على الأمر؛ لأن الأمر كما اسلفنا ذكره يدل على الطلب ممن هو أعلى إلى من هو أدنى، فالأمر هاهنا جاء مختلفاً عن سياقه السابق، وخرج عن أساس دلالته، ليدل على معنى الدعاء، والدعاء من المؤمنين لله عز وجل بأفعال الأمر السابقة أن يعفو عنهم، ويغفر لهم ويرحمهم، وينصرهم على القوم الكافرين، وهو دعاء خالص منهم لله عز وجل⁽²⁾.

¹. سورة البقرة، آية: 286.

². انظر: البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 1، ص: 166.

والدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وله أدوات الأمر والنهي ذاتها، وذلك مثل "لا" كقول القائل: لا يقطع الله شأنك، فـ "لا" هاهنا جاءت للدعاء، والدعاء هاهنا جاء بالطريقة نفسها التي يأتي فيها الأمر والنهي⁽¹⁾.

وهذا ما جرى في الآية السابقة، فإن الأفعال التي سلفت ليست على سبيل الأمر، إذ حاشى الله أن تكون هذه الأفعال للأمر، بل هي للدعاء، فإنهم يدعون الله سبحانه وتعالى بهذه الأمور التي يرجون تحقيقها منه، وقبول دعائهم.

وقد ذهب الفراء إلى أن الدعاء لا يكون إلا في الشروط أو ما شابهها، مثل قولنا: يغفر الله لك إن أسلمت، أو غفر الله لك إن أطعت، فإن الشرط الذي يلي الفعل دال على معنى الدعاء، والحقيقة أنه لا يُشترط في الدعاء ذلك⁽²⁾.

فكما مر سابقاً، فإن الآية القرآنية الكريمة جاءت على معنى الدعاء، لا على معنى الأمر، وذلك ناشئ من طبيعة السياق القرآني للآية الكريمة، مضافاً إليه سياق الحال، إذ لا يصح الأمر من العبد لله عز وجل، وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على توازي تركيبى تمثل بفعل الأمر الذي تكرر في الآية أربع مرات، ويمكن لنا أن نوضح هذا التوازي التركيبى في الآية من خلال الجدول الآتى:

اعفُ	عنا
اغفرُ	لنا
ارحمُ	سنا
انصرُ	نا

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أنه بُني على أساس من التوازي التركيبى، الذي يظهر كما يأتي في كل طرف من أطراف المتوالية:

فعل أمر + ضمير المخاطب "فاعل" + جار ومجرور / نا المتكلمين

فهذا التركيب المتشاكل ضمن أطراف السلسلة الكلامية يقودنا إلى فهم عناصر التوازي التركيبى ضمن الآية الكريمة.

¹. انظر: سيبويه. الكتاب، ج: 3، ص: 8.

². انظر: ابن السراج. الأصول في النحو، ج: 2، ص: 186.

وقد انقسمت أطراف هذه المتوالية إلى فئتين:

الأولى: اعفُ عنا واغفر لنا

والثانية: ارحمنا وانصرنا

وذلك تبعاً لطبيعة المصاحبات اللغوية لفعل الأمر، ففي الفئة الأولى تبع فعل الأمر جار ومجرور، كان المجرور فيه ضمير جماعة المتكلمين، وفي الفئة الثانية تبع فعل الأمر ضمير المتكلمين دون الجار.

وهذا التوازي التركيبي يصحبه توازٍ صرفي يتمثل بالنواحي الآتية:

1. تشابه طبيعة الفعل، وهو فعل أمر.

2. تشابه الفاعل في الأفعال، فهو ضمير خطاب مستتر.

3. اتصال "نا" المتكلمين ضمن السلسلة الكلامية.

إن هذا التشاكل الصرفي ضمن الآية القرآنية الكريمة المرتبط بفعل الأمر يقود إلى توازٍ صرفي، مضافاً إليه بعض الجوانب الصوتية المتمثلة بعناصر التصويت في ضمائر المتكلمين.

ولهذا التوازي اللغوي أثر في طبيعة المعنى، فإن هذه الأفعال جاءت في سياق الدعاء لله سبحانه وتعالى، فكان من الطبيعي أن يكون الدعاء سائراً على نسق متوازٍ؛ لأن هذه الأمور التي دعا بها المؤمنون ربهم لا يقل بعضها أهمية عن بعض، فالمغفرة، والرحمة، والعفو، والنصر، كلها أمور يطلبها المسلم من ربه؛ لذا كان هذا التوازي دالاً على تساوي أهمية هذه الدعوات عند المؤمنين.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ"⁽¹⁾.

وفي هذه الآية الكريمة ثمة اختلاف تركيبى عما سبق في المواضع السابقة، فإن الباحثة قد اشارت إلى أن مفهوم أسلوب الأمر يختلف عن مفهوم فعل الأمر، ومن هنا كان الحديث في هذا الموضع عن الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، إذ إن لام الأمر هي التي دلت على معنى الأمر.

¹. سورة الحج، آية: 15.

وتشير هذه الآية الكريمة إلى أنه من كان يظن بأن الله سبحانه وتعالى لن ينصر نبيه، فما عليه إلا أن يمدد بحبل من سماء بيته، ثم ليشنق نفسه، أو ليخنقها، وقد سمي الخنق قطعاً لأن الخائق يقطع مجاريه التنفسية بهذا الخنق، ثم لينظر هل يؤثر خنق نفسه في أمر الله بأن ينصر نبيه، وهذا لن يكون، بل لن يؤثر هذا الفعل إلا في هذا الكائد بقطع غيظه فحسب، ولن يقطع أمر الله سبحانه وتعالى بنصرة نبيه الكريم⁽¹⁾.

ومن خلال نظرنا في الآية القرآنية الكريمة نجد أن الأفعال: فليمدد، ليقطع، فليُنظر، ابتدأت بلام الأمر، وهذه اللام تعمل الجزم في الفعل المضارع، وتنفله من الدلالة على الحال إلى الدلالة على الأمر، فيغدو هذا الفعل من نظام أسلوب الأمر، وليس تابِعاً للفعل المضارع إلا في شكله⁽²⁾. وقد تعمل هذه اللام محذوفة، وذلك إذا اضطر شاعر لذلك، يقول متمم بن نويرة⁽³⁾:

وكلُّ امرئٍ يوماً وإنْ عاشَ حَقْبَةً له غايةٌ يجري إليها ومُنْتَهَى
على مثل أصحابِ البَعوضَةِ فأخْمَشِي لك الويلُ حرًّا الوجهَ أو يبيكُ مَنْ بَكَى
فالشاهد فيه قوله: أو يبيك، بجزم "يبيك" والجازم فيه لام الأمر المحذوفة، والتقدير فيها: أو ليبيك من بكى، يدل على ذلك سياق البيت الشعري.

فلام الأمر هاهنا هي التي تمثل دالة أسلوب الأمر، وهي التي نقلت الفعل المضارع من الدلالة على الحال إلى الدلالة على الاستقبال في معنى الأمر؛ لذا أدخلناها هاهنا ضمن أسلوب الأمر.

وحيثما ننظر في الآية القرآنية الكريمة نجد أنها اشتملت على توازنٍ تركيبى ضمن أسلوب الأمر، وذلك كما يبينه الجدول الآتي:

1. انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 431 - 432.

2. انظر الحديث عن عمل لام الأمر في: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1985م). اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية، ص: 92.

3. السيرافي. شرح أبيات سيبويه، ج: 2، ص: 106.

يمدّد	لام الأمر
يقطع	لام الأمر
ينظر	لام الأمر

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتشكل من:

لام الأمر + فعل مضارع مجزوم + فاعل مستتر تقديره هو

إن هذا التشاكل التركيبي يقود السلسلة الكلامية نحو التوازي، وهو ما رأيناه حقاً في هذه الآية القرآنية الكريمة، فإن هذه الآية تشتمل على توازٍ تركيبى تصحبه بعض ملامح التوازي الصرفي.

وتتمثل ملامح التوازي الصرفي في هذه الآية الكريمة بطبيعة الفعل المضارع الوارد في الآية الكريمة، فالأفعال: يمدد، يقطع، ينظر، كلها أفعال لم يطرأ عليها إعلال ولا إبدال ولا أي شيء من الأحوال الصرفية، وعلاوة على ذلك فكلها أفعال مجردة عن الزيادة، أي أنها على زنة "يفعل، أو يفعل"، وهذا ما منح أطراف السلسلة الكلامية مزيداً من التشاكل، يُضاف إليه بعض الملامح الصوتية التي تتمثل بسكون الفعل المضارع في الأطراف الثلاثة، فهذا منح الجانب الصوتي أيضاً مزيداً من التناسق ضمن الآية الكريمة.

إن هذا التوازي التركيبي الصرفي يأتي متوافقاً مع طبيعة المعنى للآية الكريمة، فالمعنى على ما أشرنا يشير إلى أنه من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه، فليقطع مجاريه التنفسية، وليشقق نفسه، ثم سيعلم أن ذلك لم يؤدِّ إلى تحقيق شيء من غيظه، فجاء التوازي هاهنا ليشار به إلى أن هذه الأفعال لا تؤثر شيئاً، فكما أنها من شكل واحد، ومن طبيعة لغوية واحدة، فإن أثرها واحد، ألا وهو خسارة هذا الإنسان لنفسه، ولن يتحقق شيء مما يريده حسداً لنبي الله الكريم - صلى الله عليه وسلم - هذه هي النتيجة الوحيدة التي سيصل إليها هذا الإنسان بكيده وغيظه.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن أسلوب الأمر يجمع: فعل الأمر، وفعل الدعاء، والفعل المضارع المبدوء بلام الأمر، فكل هذه العناصر تأتلف لتشكل معاً أسلوب الأمر اللغوي، الذي بناء عليه أوردنا النماذج القرآنية السابقة.

7.2 أسلوب النهي والنفي:

قد يكون النهي تابعاً لأسلوب الأمر، غير أن شكله التركيبي شبيه بشكل النفي، ومن هنا جعلتُ الحديث عن النهي خلال حديثي عن النفي، وذلك لاجتماع شكليهما. يشير مفهوم النهي إلى ما يشير إليه مفهوم الأمر، غير أنه يختلف عن الأمر بأن المتكلم يطلب من المخاطب ترك فعل، وليس فعل شيء، وذلك نحو قوله: لا تفعل⁽¹⁾، فهو إذن دعاء للإحجام عن الفعل⁽²⁾.

وللنهي دالة في العربية، ألا وهي دالة "لا" الناهية، إذ يقال فيها: لا تقم، أي أنك تطلب ممن هو دونك ألا يقوم من مكانه، فالنهي حصل بفعل "لا" الداخلة على الفعل المضارع⁽³⁾، ومن هنا سُميت بـ "لا" الناهية، ويقال لها في مصنفات القدماء حرف النهي، وهي عاملة؛ لأنها مختصة بالفعل المضارع، إذ تدخل عليه وتجزمه، فهي من عوامل الجزم⁽⁴⁾.

أما النفي فهو نفي حدوث الفعل، أي إنه إخبار عن الفعل، وليس على سبيل الطلب، وهذا ما يفرقه عن النهي⁽⁵⁾، والنفي بمنزلة القول بعدم وجود المنفي، وهو داخل على الأسماء والأفعال والحروف⁽⁶⁾.

ويمكن الوصول إلى معنى النفي في العربية من خلال مجموعة من الدوال التركيبية، أي إن النفي يختلف عن النهي باشماله على غير دالة من دوال النفي، وهذه الدوال تتمثل بـ "لم، ولما" الجازمتين اللتين تتدخلان على الفعل المضارع، و"لن" الناصبة التي تدخل أيضاً على المضارع فتنتفي المستقبل منه، ولا ولات، وما، وإن، فمنها المشبهة بـ "ليس" فتعمل عملها، وتأخذ معناها، ومنها ما كان غير

1. الجرجاني. التعريفات، ص: 208.

2. السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 66.

3. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (1995م). الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين

قباوة، الطبعة الخامسة، ص: 313.

4. الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 2، ص: 444.

5. الجرجاني. التعريفات، ص: 245.

6. السيوطي. معجم مقاليد العلوم، ص: 66.

عامل، مثل "ما" الداخلة على الماضي، كقولنا: ما جاء أحد، و"لا" الداخلة على المضارع، مثل: لا ينامُ الحارس، وهكذا، فإن هذه تفيد النفي، ويعمل بعضها فيما بعده، وبعضها الآخر لا يعمل⁽¹⁾.

ومن هنا فإن النماذج القرآنية الآتية ستشتمل على حديث عن التوازي التركيبي ضمن أسلوب النفي والنفي، وأول هذه المواضع ما جاء في قوله سبحانه: " مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِلِينَ عَصَاً"⁽²⁾.

تمثل الآية السابقة نموذجاً على أسلوب النفي في القرآن الكريم، إذ ينفي الله سبحانه وتعالى فيه أن يكون قد أشهد الناس خلق السماوات والأرض، أو حتى خلق أنفسهم، فإن المشركين لا يستحقون هذا، وما كان الله ليتخذ أهل الضلالة عصداً يعتضد به، فنفي سبحانه وتعالى كل هذه الأمور عن نفسه⁽³⁾.

وقد اشتملت الآية الكريمة على مظهر من مظاهر النفي، وذلك بدالة "ما" النافية، إذ هي في بعض اللغات تشبه الفعل، أي إنها تعمل فيما بعدها، ويصح دخول "ما" النافية على الأسماء والأفعال، مثل: ما هذا زيد، وما قمت بشيء، أي أنها تدخل النفي على الجملة الاسمية، وتدخل النفي على الجملة الفعلية على حد سواء⁽⁴⁾.

أما النافية التي تدخل على الجملة الاسمية، فهي التي تشبه الفعل، وقد انقسم العرب إلى حجازيين وتميميين في إعمالها أو عدم إعمالها، فأما الحجازيون فإنهم يرون إعمالها، ويلحقونها بـ "ليس" لأنها في معناها، في حين أن التميميين لا

¹. انظر: الغلابيني، مصطفى بن محمد سليم (1993م). جامع الدروس العربية، المكتبة

العصرية، صيدا - بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، ج: 3، ص: 254.

². سورة الكهف، آية: 51.

³. انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ). مفاتيح الغيب،

أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 21، ص:

473.

⁴. انظر: المبرد. المقتضب، ج: 4، ص: 188.

يعملونها، ويرون أنها غير مختصة، وما الهدف منها إلا النفي فحسب، ودخولها على الفعل هو الذي منع من اختصاصها، وبالتالي عملها⁽¹⁾.

ومن خلال نظرتنا في الآية السابقة نجد أنها تشتمل على مظهر من مظاهر التوازي التركيبي الذي يمكن لنا أن نبيّنه ضمن الجدول الآتي:

ما	أشهدتهم	خلق السماوات والأرض
ولا	...	خلق أنفسهم

إذ يبين الجدول السابق عناصر التركيب ضمن أسلوب النفي في الآية الكريمة، ويتمثل التركيب بـ :

عنصر النفي "ما" + الفعل + المفعول به

فهذا التركيب المتشابه بين طرفي السلسلة الكلامية هو الذي دفع بالسلسلة نحو التوازي التركيبي.

ومن جانب آخر فثمة توازٍ صرفي صوتي في الآية الكريمة، إذ إن "ما"، توازي "لا" وكلاهما يفيد النفي، وكلتاهما تشتمل على ألف في آخرها، مما يوجد شيئاً من التوافق الصوتي بينهما.

كما أن كلمة "خلق" قد تكررت في طرفي السلسلة الكلامية، الأمر الذي يوحي بالتوازي الصرفي كذلك؛ لأن الصيغة قد تكررت، واللفظ تكرر بأكمله.

ومن هنا يظهر لنا وجود توازٍ تركيبى صرفي لغوي في هذه الآية القرآنية الكريمة، هذا التوازي له أثره في المعنى، إذ بتكرار عناصر النفي في الآية الكريمة وتوازيها أدى ذلك إلى تأكيد معنى الآية هذا من جهة، ومن جهة ثانية أدى تكرار كلمة "خلق" إلى الإشارة المؤكدة إلى أن الله سبحانه وتعالى وحده المتصرف في أمور الخلق والإبداع، وأن ما يدعون من دونه لا يملكون شيئاً من ذلك، كل هذه المعاني يمكن لنا أن نستشفها من خلال عناصر التوازي الموجودة ضمن الآية الكريمة.

¹. انظر: ابن مالك. شرح تسهيل الفوائد، ج: 1، ص: 368.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ" (1).

تبين هذه الآيات الكريمة منهجية السيرة النبوي كما علمها إياها رب العزة جل وعز، وذلك أن محاجة الكافرين تقوم على أساس من التخلي عن معتقداتهم، كما أنهم يتخلون عن معتقدات النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وذلك ببيان أن النبي لا يعبد ما يعبده الكفار، وكذلك الكفار لا يعبدون الله عز وجل، ومن هنا يظهر عنصر التخالف في العقيدة بين هذين الفريقين، مما يؤدي بالنتيجة إلى تخلي كل طرف عن الآخر (2).

ونلاحظ من خلال الآيات السابقة كيف أنها تشكلت بأسلوب النفي من خلال واحدة من دالات النفي، وهي "لا" النافية، إذ تشتمل "لا" النافية على عدد من الأوجه والأحوال، منها ما كانت فيه مشبهة بـ "ليس" في عملها ومعناها، ومنها ما كانت فيه "لا" النافية للجنس، ومنها "لا" غير المختصة التي تدخل على الأفعال والأسماء، فتفتيها، مثل قول القائل: لا يفعل ذلك أبداً، فإنها هاهنا نافية للفعل (3).

وربما قال قائل: لماذا جاء الله سبحانه وتعالى بقوله: "ولا أنتم عابدون ما أعبد" فكفى عن الله سبحانه وتعالى بـ "ما"؟ فيكون الجواب على ذلك أنه جاء بالكلام مزدوجاً، أي أنه عاقب بين "ما" التي في قوله: لا أعبد ما تعبدون، وبين "ما" في قوله: ولا أنتم عابدون ما أعبد، فمن باب المزوجة بين الجملتين كان هذا الحديث، ومن باب التوافق اللفظي بينهما جاء هذا السياق، نحو مثلاً: نسوا الله فنسيهم، والله لا ينسى، غير أنه جاء باللفظ على سبيل المزوجة بينه وبين ما سبقه من الألفاظ (4).

1. سورة الكافرون، آية: 2 - 5.

2. انظر: السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ج: 11، ص: 132.

3. الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 1، ص: 572.

4. انظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (1992م). نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 142.

وقيل هو من باب المقابلة، أي أنه سبحانه وتعالى قابل بين "ما" في القسم الأول من الآيات، وبين "ما" التي هي في القسم الثاني، وهذه المقابلة كثيرة في كلام العرب، وقد وردت في القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قوله: "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ"⁽¹⁾، والله سبحانه وتعالى لا يمكر، ولكنه قابل بين هذا وذاك⁽²⁾.

ويظهر لنا من خلال الآية القرآنية الكريمة أنها مشتملة على نموذج من التوازي التركيبي الصرفي اللغوي، وذلك ضمن السلسلة الكلامية بأطرافها المتعددة، ويمكن لنا أن نوضح هذا التوازي ضمن الجدول الآتي:

لا	أعبد	ما	تعبدون
ولا	أنتم	عابدون	أعبد
ولا	أنا	عابد	عبدتم
ولا	أنتم	عابدون	أعبد

فمن خلال الجدول السابق يتضح لنا التركيب الأسلوبي لأطراف المتواليّة الكلامية، التي اشتملت على العناصر الآتية:
لا + فعل مضارع / اسم فاعل + ما + فعل

وهذا التركيب المتشاكل ضمن أطراف السلسلة الكلامية هو الذي دفع بها نحو التوازي، كما دفع بها نحو التشاكل، وذلك ضمن أسلوب النفي.

ومن ناحية ثانية فثمة تشاكل صرفي ضمن عناصر السلسلة الكلامية السابقة، يظهر هذا التشاكل من طبيعة الوحدات الكلامية المكونة للسلسلة، فإن اسم الفاعل والفعل المضارع يشتملان على تشابه صرفي يتمثل بالحركات والسكنات، فالفعل المضارع يشبه اسم الفاعل بحركاته وسكناته⁽³⁾، وهو ما يوجد شيئاً من التوافق بين عناصر السلسلة الكلامية: تعبدون، عابدون، أعبد، عابد، فهذه كلها ضمن إطار لفظي واحد في سكناته وحركاته.

¹. سورة آل عمران، آية: 54.

². أبو حيان الأندلسي. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج: 3، ص: 131.

³. انظر: ابن يعيش. شرح المفصل، ج: 4، ص: 210.

ومما يزيد في قوة هذا التوازي، اشتماله على لفظ "ما" الموصولة في كافة أطراف هذه السلسلة الكلامية، هذا علاوة على وجود جمع المذكر السالم، أو الأفعال الخمسة التي تتشابه في لواحقها الصوتية "ون" مما يؤدي إلى مزيد من التوافق والانسجام بين وحدات الكلام، وذلك نحو: تعبدون، عابدون.

لقد أوجد هذا التوازي أثراً في معنى الآيات القرآنية الكريمة، وذلك انطلاقاً من الطبيعة المتشاكلية التي اعتمدت عليها الآيات، فهذا التشاكل بين وحدات الكلام ضمن أطراف السلسلة الكلامية، يقابل ذلك التشاكل في معتقدات أهل الكفر، والتشاكل في معتقدات أهل الإيمان، ومن هنا كان للتوازي أثره في تعميق هذه المعاني الضمنية للآيات القرآنية الكريمة.

يمثل النموذجان السابقان أمثلة تطبيقية على مجيء التوازي ضمن أسلوب النفي، وفيما يلي سنورد بعض النماذج على مجيء التوازي ضمن أسلوب النهي، وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا"⁽¹⁾.

تبين هذه الآيات القرآنية الكريمة بعض التوجيهات الإلهية للإنسان في حياته الدنيا، وذلك باختيار أفضل الأعمال والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها دون سواها من الأخلاق الذميمة، فبين سبحانه أن على الإنسان ألا يقفو ما ليس له به علم، وبيّن له أن حواسه وسمعه وبصره وقلبه كل هذه الحواس والأعضاء سيسأل عنها، ثم بينت الآيات الكريمة أن عليه ألا يمشي في الأرض مرحاً، فإنه حينما يمرح في هذه الأرض لن يتجاوز قدره، فلن يخرقها، ولن يطول إلى أعالي الجبال، فهو هو دون زيادة فيه، إذن فلا فائدة من المشي مرحاً في هذه الأرض⁽²⁾.

¹. سورة الإسراء، آية: 36 - 37.

². انظر: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (1997م). تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 241.

وكما يظهر لنا من خلال الآية القرآنية الكريمة فثمة توافق في مطالع الآيتين الكريمتين، إذ بدأت كل منهما بـ "لا" الناهية، وهي تسمى حرف النهي، إذ هي الحرف الذي يدل على النهي، فالمعنى ينتقل إلى نهي المخاطب من أن يقفو ما ليس له به علم، ومن أن يمشي في الأرض مرحاً، هذه الفائدة الدلالية يستطيع المخاطب أن يعيها تماماً حينما يجد دالة النهي في مطالع هذه الجملة⁽¹⁾.

ولا يشترط في حرف النهي أن يكون للمخاطب، بل قد يأتي للغائب، مثل: لا يقم زيد من مكانه، فالنهي هاهنا جاء للغائب، ولكن الأكثر فيه أن يكون للمخاطب⁽²⁾.

وما دام حرف النهي مختص بالفعل المضارع، فإنه عامل فيه، وعمله يتمثل بالجزم، فالفعل المضارع بعد "لا" الناهية يكون مجزوماً بأحد علامات الجزم، مثل قولنا: لا تقم، ولا تمش، ولا تذهبوا، وهكذا⁽³⁾.

ويمكننا أن نلاحظ أن الآيات القرآنية السابقة قد تضمنت توازياً تركيبياً ضمن أسلوب النهي، وذلك كما يتضح ضمن الجدول الآتي:

ولا	تقفُ	أنت
ولا	تمشِ	أنت

إذ يظهر لنا من خلال الجدول السابق أن طرفي السلسلة الكلامية قد تكون من:

لا الناهية + فعل مضارع مجزوم + فاعل ضمير مستتر تقديره "أنت"

إن هذا التركيب المتشابه ضمن طرفي السلسلة الكلامية هو الذي يقودنا نحو القول بأن هذه السلسلة الكلامية مشتملة على توازٍ تركيبى يعتمد في أساسه على أسلوب النهي، إذ منح هذا التوازي السلسلة الكلامية مزيداً من الاتساق والتوازن.

¹. انظر: ابن قيم الجوزية، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر (1954م). إرشاد السالك

إلى حل ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف،

الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 783.

². انظر: المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 134.

³. انظر: الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 2، ص: 444.

ولا يقف الأمر عند التوازي التركيبي فحسب، فثمة ملامح للتوازي الصرفي، إذ إن الفعل "تقفُ" والفعل "تمشِ" من زنة صرفية واحدة، الأمر الذي يجعل الحديث عن التوازن الصرفي بين الفعلين أمراً واقعاً، وهو ما يزيد في قوة هذا التوازي. ومما يمنح هذا التوازي مزيداً من القوة والجمال أن الفعلين "تقفُ" و"تمشِ" مجزومان بحذف حرف العلة، وهو أمر يزيد في تناسق أطراف السلسلة الكلامية من جهة تركيبها الصوتي.

إن هذا التوازي التركيبي الصرفي في طرفي السلسلة المتمثلين بـ:

ولا تقفُ

ولا تمشِ

يشير إلى تقارب هذين المعنيين في قيمتهما وأثرهما، فحديث الإنسان بما لا يعلم له أثر مساوٍ أو مقارب للأثر الذي ينتج عن مشي الإنسان في الأرض مرحباً، فمن يتحدث بما لا يعلم يتخبط في الحديث تخبطاً، ومن يمشي في الأرض مرحباً يتخبط فيها أيضاً تخبطاً، فهذا التوافق بين معنيي الفعلين يزداد تناسقاً بوجود هذا التوازي التركيبي الصرفي.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"⁽¹⁾.

تتناول هذه الآية القرآنية الكريمة الحديث عن بعض الأخلاق التي يتوجب على المسلم ألا يتحلى بها، وهي مثل السخرية من الناس، ويستوي في ذلك سخرية النساء من النساء، والرجال من الرجال، كما نهت الآية الكريمة عن اللمز، والتنابز بالألقاب؛ لأن هذه الأخلاق الذميمة لها دورها البالغ في تقويض المجتمع، واتصافه بالاستقامة والإخاء، كما توعدت الآية الكريمة بأن من لم يتب عن هذه الأخلاق

¹. سورة الحجرات، آية: 11.

السقيمة فإن عقوبته ستكون عظيمة عند الله تعالى؛ لأن هذه الأخلاق ظلم في حق الآخرين⁽¹⁾.

وكما هو واضح لنا من خلال الآية القرآنية الكريمة فثمة أسلوب النهي، المعتمد على أداة النهي "لا" في تشكيل عناصره اللغوية، وذلك انطلاقاً من أن هذا الحرف هو وحده المختص بمعنى النهي في الفعل المضارع، مما يجعله هو الحرف الوحيد ضمن دائرة أسلوب النهي⁽²⁾.

وقد اشتملت الآية القرآنية الكريمة على تناسق في أطرافها، إذ إنها اشتملت على تكرار للفظ "قوم" والقوم هاهنا يراد به الذكور دون الإناث، ومما يدل على هذا أنه ثنى بقوله: ولا نساء من نساء، فلو كان القوم يُقصد بها الرجال والنساء لما احتجج إلى التثنية بالحديث عن النساء، وهو معروف في اللسان العربي⁽³⁾، فهذا التكرار لعناصر الكلام مثل: قوم، ونساء، يمنح الآية الكريمة مزيداً من التماسك.

وعند النظر في هذه الآية الكريمة نجد أنها مشتملة على توازٍ تركيبى صرفي ضمن أسلوب النهي، وهو ما يتضح لنا من خلال الجدول الآتي:

لا	يسخرُ	قوم
لا	تلمزُ	وا
لا	تتايزُ	وا

يتضح لنا من خلال الجدول السابق أن تركيب كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من:

لا الناهية + فعل مضارع + فاعل

¹. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير، الدار

التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ج: 26، ص: 246.

². انظر اختصاص "لا" بالنهي في: المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 134.

³. الربيعي، علي بن عدلان بن حماد بن علي (1985م). الانتخاب لكشف الأبيات المشككة

الإعراب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية،

ص: 43.

وهذا التركيب قد تكرر ضمن أطراف السلسلة الكلامية الثلاثة، الأمر الذي يوحي بالتوازي التركيبي ضمن هذه الآية القرآنية الكريمة.

ومن ناحية ثانية فإن توافق الأفعال الثلاثة بكونها أفعال مضارعة يشي بتوازي السلسلة الكلامية من الناحية الصرفية، فالجانب التركيبي، والجانب الصرفي يتماشيان في خط واحد للوصول إلى هذا التوازي.

أما من الناحية الصوتية، فنجد أن تكرار واو الجماعة في "تلمزوا، وتنابزوا" سبيل للوصول إلى اتساق صوتي ضمن مكونات السلسلة الكلامية، كما أن الفعل "تلمز، وتنابز" منتهيان بصوت "الزاي" وهو أيضاً يوجد شيئاً من التناسق الصوتي في تركيب السلسلة الكلامية، ويدعم التوازي التركيبي الصوتي عامة.

إن هذا التوازي له أثره في تشكيل المعنى ضمن الآية القرآنية الكريمة، فتوازي هذه الأطراف يقود إلى تناسقها وتناغمها، وبالتالي تساويها في القيمة الاجتماعية التي جاءت الآية لتنتهي عن هذه الأخلاق لما لها من أثر بالغ في المجتمع، فتوازيها هاهنا يشير إلى تساوي أثرها السيئ في المجتمعات البشرية عامة.

الفصل الثالث

التوازي وعناصر التحول الأسلوبي

تناولنا في الفصل السابق الحديث عن مكونات التوازي التركيبي الصرفي ضمن عناصر الأسلوب النحوي وحده، دون التطرق إلى تحولات هذا الأسلوب، وانتقال السياق من أسلوب نحوي إلى أسلوب نحوي آخر، أو انتقال السياق من أسلوب نحوي إلى تركيب إخباري _ جملة _ وهذا الفصل سيسلط الضوء على هذه التحولات الأسلوبية وبيان أثرها في التوازي التركيبي الصرفي، وذلك كما يأتي.

1.3 التحول من أسلوب إلى أسلوب نحوي آخر:

تندرج أكثر الأساليب النحوية ضمن دائرة الإنشاء في العربية، وهي دائرة تشتمل على مجموعة من العناصر البلاغية التي رأى فيها البلاغيون وأهل اللغة أنها مكونات إنشائية لا خبرية، فثمة فرق بين الخبر والإنشاء، فالخبر يحتمل الصدق والكذب، في حين لا يحتمل الإنشاء لا الصدق ولا الكذب، ومن هنا يختلف الخبر عن الإنشاء، والإنشاء بدوره ينقسم إلى طلبي وغير طلبي، فالطلبي هو الذي يقتضي مطلوباً من المتكلم عند المخاطب، في حين أن غير الطلبي لا يقتضي مطلوباً عند المخاطب⁽¹⁾.

ومن هنا فإن النماذج القرآنية التي سنتناول الحديث عنها ضمن هذا القسم من الدراسة تتطوي على تحول من أسلوب نحوي، إلى أسلوب نحوي آخر، سواء أكان هذا الأسلوب إنشائياً أم لا.

¹. القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: 1، ص: 70.

1.1.3 الانتقال من الاستفهام إلى الأمر:

وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"⁽¹⁾.

تتحدث هذه الآيات القرآنية الكريمة عن أناس من بني إسرائيل، أماتهم الله بسبب ذنوبهم، وقيل بسبب طاعون حل فيهم، ثم أحياهم، وأمرهم بعبادة الله تعالى، والقتال في سبيله⁽²⁾.

والاستفهام في أول الآيات "الم تر" إنما هو استفهام جاء لمعنى التعجب، بمعنى العلم، أي: ألم تعلم، وهو على سبيل الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - يدل على معنى التعجب، حتى إن الكسائي جعلها معنى لكلمة "ويكأن" التي وردت في سورة القصص، فقال: إنها بمعنى "ألم تر" وهي على سبيل التعجب⁽³⁾.

وحينما ننظر في الآيات القرآنية الكريمة نجد أنها مشتملة على أسلوبين نحويين هما: الاستفهام، والأمر، وذلك في جملة:

ألم ترَ استفهام.

موتوا ... أمر.

وقاتلوا ... أمر كذلك.

وهذا يعني أن الآيات الكريمة قد اشتملت على توازٍ بين هذين الأسلوبين، فكلاهما أسلوب إنشائي طلبى، الأمر الذي يجعلهما متقاربين في طبيعتهما، ويجعلهما متشاكلين في التركيب النحوي ضمن عناصر الكلام.

أما من الجهة الصرفية، فإن "موتوا، وقاتلوا" فعلا أمر، وهما متشابهان في كونهما فعلي أمر، ويتوافقان مع أسلوب الاستفهام السابق لكون الفعل "ترَ" في الآية

¹. سورة البقرة، آية: 243 - 244.

². انظر: الجوزي. زاد المسير، ج: 1، ص: 219 - 220.

³. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1984م). حروف المعاني والصفات، تحقيق:

علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 67.

السابقة جاء مجزوماً، الأمر الذي يدفع بهذه المكونات نحو التوازي التركيبي الصرفي، ولكنه توازٍ غير تام.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى كذلك: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قِتِيلًا (49) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (50) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا" (1).

جاءت هذه الآيات الكريمة لتبين أن من الناس من يزكي نفسه على الله، ويجد فيها الخير، ولا يتنبه إلى أن هذا الأمر بيد الله سبحانه وتعالى وحده، ولا يجوز لأحد أن يزكي نفسه على الله، وهذه الآية وإن كانت عامة في لفظها، إلا أن أكثر المفسرين على أنها نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا بأنهم أحباء الله، وما هذا إلا بقولهم هم، وليس من الله في شيء، ثم تحدثت الآيات عن الكيفية التي يفترون بها الكذب على الله، وهم إذا جاؤوا إلى عبادة الأوثان والطاغوت والجبت، قالوا إن هذه العبادة الضالة أهدى من عبادة المؤمنين الذين يعبدون الله وحده (2).

وقد اشتملت الآية الكريمة على لفظ "الم تر" وهذه عبارة يأتي بها المتكلم لإنشاء التنبيه للمخاطب، فكأنه ينبهه على حادثة عظيمة، وهو ما كان في الآية الكريمة، فالمعنى: أسمعت بمن يزكي نفسه... الخ (3)، وهو معنى تركيبى مرتبط بهذه العبارة التركيبية المشتمة على عنصر الاستفهام.

وهذه الآيات الكريمة اشتملت على ما اشتملت عليه الآية السابقة من كونها متضمنة لعناصر التحول الأسلوبى المرتبطة بعنصر التوازي التركيبى، ويظهر لنا ذلك على النحو:

1. سورة النساء، 49 - 51.

2. ابن عطية. المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 65 - 66.

3. انظر: سيبويه. الكتاب، ج: 3، ص: 40.

ألم ترَ ... استفهام.

انظر ... أمر

ألم ترَ ... استفهام.

يمكن لنا أن نصل إلى ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن الآيات القرآنية السابقة من خلال المكونات الآتية:

1 – إن كل عنصر أسلوبى اشتمل على خطاب، فالفعل "ترَ" خطاب، إذ إن الفاعل فيه: ترَ أنت، والفعل "انظر" خطاب أيضاً، لكون الفاعل فيه تقديره "أنت" فكان الخطاب ظاهراً في كلا الأسلوبين.

2 – إن كلا الأسلوبين جاء من الأساليب الطلبية، أي أن المخاطب يقتضي مطلوباً وقت الطلب، فعليه أن يوافق هذا المطلوب من خلال كلامه، وهو ما نراه في الآية القرآنية الكريمة ضمن عناصر البناء الأسلوبى.

فهذه الملامح تشي بشيء من التوازي التركيبي الصرفي، وهو توازٍ غير تام، إذ ليس هناك ما يشير إلى عناصر التمام فيه، ولكنه توازٍ يؤثر في المعنى والدلالة، إذ إن هذا التوازي بين الأسلوبين النحويين يقابل ذلك المعنى المتقارب ضمن الآيات القرآنية الكريمة، فإن الحديث عن عبادة الجبت والطاغوت، والحديث عن تزكية النفس، كلها أمور متشابهة في ذنبها؛ لذا كان للتوازي أثر كبير في تعميق هذا المعنى الدلالي للآيات القرآنية الكريمة.

2.1.3 التحول من النهي إلى الشرط:

يقول الله سبحانه وتعالى في هذا المعنى: " وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ⁽¹⁾ .

توجه الآية القرآنية الكريمة المؤمنين إلى الصبر والتحمل في سبيل الله تعالى، وأن عليهم ألا يضعفوا، ولا يصيبهم الحزن، فإنهم ما داموا مؤمنين بالله سبحانه

¹. سورة آل عمران، آية: 139.

وتعالى، فهم الأعلون على الذين كفروا، وذلك لأن الذين كفروا ينحطون بكفرهم، أما المؤمنون فإنهم يرتفعون بإيمانهم، وهذا هو السبيل الأمثل للرفعة والعلو⁽¹⁾.

اعتمدت الآية القرآنية الكريمة على أسلوبين نحويين، هما: أسلوب النهي، الذي تمثل بدالة النهي "لا" الناهية، إذ هي حرف النهي في العربية⁽²⁾، أما الأسلوب الثاني: فهو أسلوب الشرط، المتمثل أيضاً بدالته "إن" الشرطية، التي تعد أم باب أدوات الشرط، فهي أهم أدوات الشرط، وجميع أدوات الشرط الأخرى بُنيت في معناها على معنى "إن" الشرطية⁽³⁾.

وهذا التجاور بين الأسلوبين النحويين في الآيات القرآنية الكريمة يقود إلى تشاكل تركيبى صرفي، هو ما نود الإشارة إليه ضمن عناصر التوازي في هذه الآية الكريمة، إذ تتكون أطراف السلسلة الكلامية مما يأتي:

ولا تهنوا نهى

ولا تحزنوا نهى

إن كنتم مؤمنين شرط

يتبين لنا من خلال نظرتنا ضمن أطراف هذه السلسلة الكلامية السابقة أنها تشكلت من ثلاثة عناصر: نهى + نهى + شرط، هذا التجاور بين هذه الأساليب النحوية يخلق نوعاً من التشاكل التركيبى الصرفي، الأمر الذي يفضي بالسلسلة الكلامية إلى التوازي، فإن الخطاب ظاهر ضمن أطراف هذه المتواليات الكلامية، فالتقدير:

ولا تهنوا أنتم.

ولا تحزنوا أنتم

إن كنتم أنتم

¹. انظر: الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد (1415هـ). لباب التأويل في معاني

التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج:

1، ص: 300.

². انظر: المبرد. المقتضب، ج: 2، ص: 134.

³. انظر: المرادي. الجنى الداني، ص: 207.

فالسلسلة الكلامية مشتملة على توازٍ تركيبى مرتبط بعنصر خطاب جماعة المخاطبين "أنتم" وهو ما يجعل أطراف السلسلة الكلامية أكثر تشاكلاً. كما أنه يمكننا أن نلاحظ بعض الملامح التركيبية التي من شأنها أن تدعم مسيرة هذا التوازي، وذلك بطبيعة عمل الجزم المتعلق بـ "لا" الناهية من جهة، و"إن" الشرطية من جهة ثانية، فإن هذين المكونين التركيبيين يعملان الجزم، فيتولد في ذهن المتلقي تشاكل بين هاتين الأداتين، وهو تشاكل ذهني متوقع من المتلقي؛ وهذا ما يمنح التوازي مزيداً من التقارب ضمن مكونات السلسلة الكلامية.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " وَلَا تَهْتُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"⁽¹⁾.

تبين هذه الآية الكريمة التوجيه الرباني للمؤمنين في قتال المشركين، فإنه سبحانه وتعالى يبين لهم أن عليهم – أي المؤمنين – ألا يضعفوا في قتال المشركين، وطلبهم للقتال، ثم يبين سبحانه أن هؤلاء المشركين يتألمون لما يصيبهم من الموت والقتل، كما أن المؤمنين يتألمون لذلك أيضاً، إلا أن أهل الإيمان يفوقونهم في أنهم يرجون من الله ما لا يرجو هؤلاء الكفار والمشركين، فالمؤمنون يرجون الشهادة، والموت في سبيل الله، في حين أن المشركين والكفار لا يرجون ذلك⁽²⁾.

لا يختلف هذا النموذج كثيراً عن النموذج السابق، حتى من حيث المعنى والسياق، فإن المعنى في هذه الآية الكريمة يقود إلى تحريض المؤمنين على قتال المشركين، وتطلب منهم ألا يضعفوا في قتالهم، وكذلك الحال في النموذج السابق، وقد اعتمد هذا النموذج أيضاً على دالة النهي، ودالة الشرط، وهما: "لا" الناهية، و"إن" الشرطية في الوصول إلى المعنى.

¹. سورة النساء، آية: 104.

². انظر: ابن جزى، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (1416هـ). التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 209.

ويمكننا أن نلاحظ عناصر التوازي التركيبي الصرفي في هذه الآية الكريمة من خلال نظرتنا في تشكيل أطراف هذه السلسلة الكلامية، وهي:

ولا تهنوا نهي.

إن تكونوا تآلمون ... شرط

فيظهر لنا من الناحية التركيبية أن كلا الطرفين يشتمل على عنصر جازم، ألا وهو "لا" الناهية، و"إن" الشرطية، وهذا العنصر الجازم يمنح طرف السلسلة الكلامية مزيداً من التوافق.

ومن جانب آخر فإن الخطاب ضمن طرفي السلسلة الكلامية يقود أيضاً إلى التوافق، فقولنا:

ولا تهنو: التقدير: ولا تهنوا أنتم.

إن تكونوا: التقدير: إن تكونوا أنتم.

فضمير الخطاب المقدر هو سبيل لإبراز عناصر التوافق التركيبي بين هذه المكونات الكلامية.

ومن ناحية أخرى فثمة توافق صرفي كذلك في السلسلة الكلامية، ويتضح ذلك من الفعلين: تهنوا، تكونوا، فكلا الفعلين فعل مضارع مجزوم.

ينضاف إلى هذا كله أن عناصر الصوت متوافقة كذلك في بعض ملامحها، كتكرار صوت الواو في الوحدات الكلامية: تهنوا، تكونوا، تآلمون، يآلمون، ترجون، يرجون، فهذا التكرار الواضح لصوت الواو يمنح السلسلة الكلامية برمتها مزيداً من التشاكل والتوافق.

ولهذا التوازي أثر في معنى الآية الكريمة، فإن سياق الآية يدل على تساوي المؤمنين في الألم مع المشركين عند القتال، وهذا ما يوحي به توازي العناصر الكلامية ضمن السلسلة، ولكن المؤمنين يختلفون عن هؤلاء المشركين بأنهم يرجون من الله الشهادة والموت في سبيله، وهذا ما لا يرجوه الكافرون، وهذا المعنى يمكن لنا أن نلاحظه من طبيعة التوازي غير التام بين عناصر الكلام ضمن السلسلة الكلامية السابقة.

3.1.3 التحول من الشرط إلى النفي:

ويظهر لنا هذا التحول من خلال قوله سبحانه وتعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِدٌ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ" (1).

تتحدث الآيات القرآنية الكريمة عن موقف اليهود في المدينة المنورة بعد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وتبين أن الذين نافقوا قالوا لهم، إذا خرجتم من المدينة سنخرج معكم، وإذا قاتلكم المسلمون سنقاتل معكم، ثم تبين الآيات الكريمة أن هذا الكلام ما هو إلا كذب مفترى، فإن هؤلاء المنافقين لا يخرجون مع اليهود، ولا يقاتلون معهم، ولو قاتلوا معهم فلن يكون بيدهم نصرهم، وهذا ما أكده الواقع، فإن اليهود طردوا من المدينة المنورة دون أن يحرك معهم المنافقون ساكناً (2).

ويظهر لنا من خلال الآيات القرآنية الكريمة أنها اعتمدت على أسلوب الشرط بالدرجة الأولى، ثم على أسلوب النفي، فإن من عادة العرب أن يدخلوا اللام على أداة الشرط، فتصبح "لئن" والقصد منها التأكيد، وكذلك الحال فإنهم يدخلون "لا" النافية على جوابها، كما يدخلون الفاء واللام (3).

ويمكننا أن نستشف من خلال سياق الآيات القرآنية الكريمة السابقة توازياً تركيبياً صرفياً، يتمثل ضمن الأطراف الآتية:

لئن أخرجتم ... ولا نطيع فيكم

لئن أخرجوا ... لا يخرجون معهم

ولئن قوتلوا ... لا ينصرونهم

ولئن نصرورهم ... لا ينصرون

1. سورة الحشر، آية: 11 - 12.

2. انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (1420هـ). البحر المحيط، تحقيق:

صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 10، ص: 142.

3. انظر: الشيباني. البديع في علم العربية، ج: 1، ص: 637.

فمن خلال بيان أطراف السلسلة الكلامية السابقة يمكننا أن نلاحظ عناصر التوازي التركيبي الصرفي بينهما، فبالدرجة الأولى ثمة توافق تركيبى بين وحدات الكلام التي توازنت بين كل طرف من أطراف هذه المتوالية، وذلك بوجود الشرط ويليه النفي، على ما بيّنا.

كما يتضح لنا ذلك التوافق التركيبى بين هذه الأطراف من خلال وجود أداة الشرط "إن" ويقابلها أداة النفي "لا" في الجزء الثانى من طرف السلسلة الكلامية. ومن ملامح هذا التوازي كذلك رد الكلمة على الكلمة، مثل:

لئن أخرجتم لنخرجن.

لئن أخرجوا لا يخرجون.

لا ينصرونهم ولئن نصروهم، ثم لا ينصرون.

فهذا التكرار ضمن وحدات الكلام التركيبية التي تشكل عناصر التوازي التركيبى الصرفى يفضى إلى تشابه بين عناصر الكلام ومكوناته، وهذا التشابه هو ذاته الذى يقود إلى التشاكل الصرفى بين تلك الوحدات الكلامية.

ولا نغفل هاهنا الحديث عن دور المكونات الصوتية ضمن هذه السلسلة الكلامية، إذ يظهر لنا لاحقة الواو والنون في عدد من الكلمات، مما يشير إلى توازٍ صوتى ضمن هذه الوحدات، مثل: قوتلوا، ينصرونهم، نصروهم، ليولن، أخرجوا، لا يخرجون، لا ينصرون، فهذه المكونات الصوتية لها دورها أيضاً في تركيب الكلام، ولها دورها في رقد هذا التوازي ضمن السلسلة الكلامية بمزيد من التجانس والتوافق.

ولهذا التوازي التركيبى ضمن أسلوبى الشرط والنفي دوره فى المعنى، فكما أن قلوب المنافقين شابهت قلوب اليهود، فكذلك الحال فى مكونات الكلام التركيبية، فإنها تشابهت فى عناصرها، وسياقاتها، فى إشارة ضمنية إلى تشابه قلوب المنافقين واليهود.

4.1.3 الانتقال من الاستفهام إلى الشرط:

يقول الله سبحانه وتعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"(1).

تبين الآيات القرآنية الكريمة السابقة ما كان من امتنان الله سبحانه وتعالى على الناس أجمعين بأن جعل لهم الليل والنهار، ولو أن الله أراد أن يجعل الليل دائماً إلى يوم القيامة، فليس هناك من إله يأتي الناس بنهار يبصرون فيه، وكذلك الحال لو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل النهار على الناس إلى يوم القيامة، فليس هناك من آلهتهم من يستطيع أن يأتيهم بليل يسكنون فيه، فما هذا إلا نعمة من الله سبحانه وتعالى وفضل، لا يستطيع أحد من مخلوقاته أن يأتي بمثله(2).

إن هذه الآيات القرآنية الكريمة دليل عند النحويين على تعليق عمل "أرأيت" بسبب دخول الاستفهام على "رأى" فإننا لا نجد المفعولين في قوله: أرأيتم إن جعل الله...، مما يدل على أنها معلقة ضمن هذا السياق(3).

وهاتان الآيتان الكريمتان تشتملان على توازي تركيبى صرفي واضح المعالم، بل قد يصل في كثير من الأحيان إلى التشابه التام، ويمكن لنا أن نوضح عناصر كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية المتوازية من خلال الجدول الآتي:

أرأيتم	إن جعل	الليل سرمداً	يأتيكم بضياء	أفلا تسمعون
أرأيتم	إن جعل	النهار سرمداً	يأتيكم بليل	أفلا تبصرون

إذ يتضح لنا من خلال الجدول السابق ذلك التوافق التركيبى الصرفي بين كل وحدة من وحدات الكلام المتقابلة في طرف تلك السلسلة الكلامية، وهذا التوافق

1. سورة القصص، آية: 71 - 72.

2. انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (1421هـ). إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 165.

3. أبو حيان. التذييل والتكميل، ج: 6، ص: 95 - 96.

التركيبى واضح بينهما، فقد بدأ طرف السلسلة الكلامية بالاستفهام، ثم بالشرط، ثم عاد إلى الاستفهام في قوله: أفلا تبصرون، وأفلا تسمعون.

وهناك توافق صرفي تكراري واضح بين العناصر:

أرأيتم ... أرأيتم.

إن جعل ... إن جعل

الله ... الله

سرمداً ... سرمداً

إلى يوم القيامة ... إلى يوم القيامة

من إله غير الله يأتاكم ... من إله غير الله يأتكم

ومع هذا التوافق التكراري الذي يدل دلالة واضحة على التوازي الصرفي في الكلام، فثمة توافق مختلف، يتجه نحو التضاد، أو التماشي مع الحقل الدلالي، وذلك ضمن العناصر المتقابلة الآتية:

الليل ... النهار

ضياء ... ليل

أفلا تسمعون ... أفلا تبصرون

فالليل ضد النهار، والضياء ضد الليل، والسمع والبصر ينتميان لحقل دلالي واحد، هذا ما يمنح العبارة مزيداً من التشاكل والتمازج.

ويمكن لنا أن نستوحي من هذا التوازي التركيبى الصرفي بعض عناصر الدلالة، وهو ما يرتبط بأهمية كل من الليل والنهار، فليس لأحدهما أهمية تفوق الآخر، فهما مهمان لإتمام حياة الإنسان على أكمل وجه، وإنجاز أعماله بما يؤدي له الراحة في حياته، وبناء على هذه الأهمية المتساوية لليل والنهار، فقد جاء الحديث عنهما بوصفهما نعمتين من نعم الله سبحانه على عباده في سياق متوازٍ من التراكيب والبنى والوحدات الكلامية.

5.1.3 الانتقال من النهي إلى الأمر:

وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"⁽¹⁾.

تبين الآيتان الكريمتان السابقتان مجموعة من التوجيهات الربانية التي يوجه بها الله سبحانه وتعالى عباده إلى فعل الخيرات، فقد نهاهم سبحانه وتعالى عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ثم أمرهم بالوفاء بالعهد، والوفاء بالكيل، والوزن بالعدل، فإن هذه الأعمال الحسنة التي لو عمل بها الناس، لكان في ذلك خير كبير لهم، وأحسن تأويلاً في أنفسهم⁽²⁾.

وكما نلاحظ من خلال الآيتين القرآنتين الكريمتين فإنهما بدأتا بالنهي، ثم انتقلتا إلى الأمر، وهذا تقارب بين الأسلوبين على ما أشرنا في الفصل السابق، فإن النهي لا يفترق عن الأمر إلا في كونه طلب عدم حصول الفعل، في حين أن الأمر يمثل طلب وقوع الفعل من الأمر، فهذا هو الفرق بينهما، في حين أن المعنى واحد، قائم على أساس من أمر المتكلم للمخاطب⁽³⁾.

وكل أمر في معناه نهي، وكذلك الحال كل نهي في معناه أمر، فإن قال القائل: احذر، فمعناه: لا تدن، وإن قال: قم، فمعناه لا تجلس، وهكذا، فإن الأمر يدل على النهي عن خلافه، وكذلك الحال في النهي، فإن نهيك عن شيء يدل على عدم القيام بخلافه⁽⁴⁾.

وحينما ننظر في الآيتين الكريمتين السابقتين، نجد أنهما مشتملتان على توازنٍ تركيبى صرفي، وذلك يتمثل بالأطراف الآتية:

1. سورة الإسراء، آية: 34 - 35.

2. انظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (د.ت). زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ج: 8، ص: 4372 - 4373.

3. المرادي. الجنى الداني، ص: 168.

4. انظر: السيرافي. شرح كتاب سيويوه، ج: 2، ص: 150.

ولا تقربوا ... نهى.
وأوفوا بالعهد ... أمر.
وأوفوا الكيل أمر
وزنوا بالقسطاس أمر.

يظهر لنا من خلال التراكيب السابقة ذلك التوافق بين أطرافها، الأمر الذي يقود إلى توازن تركيبى صرفي ضمن عناصر السلسلة الكلامية السابقة، فإن فعل الأمر: أوفوا، وأوفوا، زنوا، كلها أفعال أمر، مسندة إلى ضمير جماعة المذكرين، وكذلك الحال في الفعل "ولا تقربوا" فإنه مسند إلى جماعة المذكرين، مما يوجد شيئاً من التناسق في الحالة التركيبية التي عليها هذه الأفعال.

ومن جانب آخر فإن معنى الخطاب المشتمل ضمن سياق الآيات الكريمة يمنح السلسلة الكلامية مزيداً من التجانس والتوافق، فالمعنى: ولا تقربوا أنتم، وأوفوا أنتم، وأوفوا أنتم، وزنوا أنتم، فهذه الأفعال كلها تدل على معنى الخطاب، وهو أمر يمنح العبارة مزيداً من التجانس كما ذكرنا.

إن هذا التوازي الناقص ضمن أسلوب النهي والأمر في الآيات الكريمة يشير إلى ذلك التقارب في هذه الأفعال أهميةً وقدرًا، فإن أكل مال اليتيم يوازي في خطره عدم الوفاء بالعهد، وهذان يقاربان في خطرهما عدم الوفاء بالكيل والميزان، ومن هنا جاء هذا التوازي موافقاً لطبيعة المعنى التي تشتمل عليه الآيات الكريمة.

2.3 التحول من أسلوب نحوي إلى جملة إخبارية:

وفي هذا الجزء من الدراسة سنتحول الطريقة التي نعرض بها الشواهد للحديث عن تحول الأسلوب النحوي ضمن عناصر التوازي التركيبى الصرفي اللغوي إلى جملة إخبارية وليس إلا أسلوب نحوي آخر كما بينا في المواضع السابقة، إذ يشير البلاغيون إلى أنه ثمة تناوب بين الخبر والإنشاء ضمن الجملة الإنشائية المخصصة، فكيف بنا لو نظرنا إلى التركيب بأكمله، فالبلاغيون يرون أن الخبر قد يأتي بمعنى الإنشاء، والإنشاء قد يأتي بمعنى الخبر، وما الهدف من ذلك في اللسان العربي إلا

لمزيد من التلطف في الطلب، أو الإبداع في الكلام، ومن هنا كانت أساليبهم اللغوية تراوح بين هذا وذاك⁽¹⁾.

وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ"⁽²⁾.

تبين الآية القرآنية الكريمة السابقة موقف أهل الكتاب من الذين آمنوا، فإنهم لا يريدون لهم الهداية، ولا يريدون لهم أن ينزل عليهم من خير من ربهم، بل يرغبون في ضلالهم، وغيهم، وبعدهم عن سبيل الله سبحانه وتعالى، فإن هدفهم الأول والأولى هو ضلال المؤمنين عن سبيل الله الحق⁽³⁾.

ونجد أن الآية الكريمة قد افتتحت قولها بـ: ألم تر؟ وهو استفهام، يراد منه الإعلام، أي إعلام النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بما يدور في صدور الذين أوتوا الكتاب، فإن هذا التحول في معنى الاستفهام يمكن أن نراه من خلال العناصر السياقية للآية الكريمة⁽⁴⁾.

وهذه الآية الكريمة تمثل واحداً من النماذج التي انتقل فيها الأسلوب إلى جملة خبرية، وذلك يظهر لنا من خلال عرضنا لطرفي السلسلة الكلامية على النحو الآتي: ألم تر إلى الذين جملة استفهامية طلبية.

يشترون الضلالة ويريدون ... جملة إخبارية بحتة.

فهذا الانتقال من الجملة الاستفهامية إلى الجملة الخبرية تحول في الأسلوب، واختلاف في سياقات الكلام، هذا على الرغم من وجود عناصر توافق صرفي بين

¹. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ص: 93 – 94.

². سورة النساء، آية: 44.

³. انظر: الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 244.

⁴. انظر: أبو حيان الأندلسي. التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج: 5، ص: 21.

هذا الطرف وهذا الطرف، الأمر الذي يوجد شيئاً من التوازي الصرفي بينهما، مثل: تقابل الأفعال: أوتوا، يشترتون، ويريدون، فإنها جميعها مسندة إلى واو الجماعة، الأمر الذي يوجد توافقاً بينها.

وكذلك الحال في طبيعة التوافق في الحديث عن الجماعة عموماً، في مثل الوحدات الكلامية: الذين، تضلوا، فالمخاطب جماعة - تضلوا أنتم - والغائب جماعة: أوتوا هم، فهذا توافق تركيبى صرفي بين هذه العناصر المكونة للسلسلة الكلامية، وعلى الرغم من وجود هذا التشاكل بين عناصر الكلام ضمن السلسلة الكلامية السابقة، إلا أنها لم ترق إلى كونها توازياً تركيبياً صرفياً تاماً، بل هي من قبيل التوازي الناقص، لما فيها من تباعد في طبيعة تشكيل العناصر الكلامية ضمن أطراف السلسلة الكلامية.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا مَلَآ وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَكَتَ مِمَّا يَقُولُ وَمَنْدُهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا"⁽¹⁾.

تتناول هذه الآيات الكريمة الحديث عن جحد آيات الله، وكفر بها، وادعى أنه سيؤتى ما لا وولداً، فنفى عنه الله سبحانه وتعالى هذه الادعاءات، وبين أنه لم يطلع على الغيب حتى يقول ذلك، ثم جاء الزجر الإلهي بأنه سيكتب ما قاله في حياته الدنيا، ويمد له من العذاب مداً، وهذه الآيات نزلت في العاص بن وائل، وكان يستأجر خباب بن الأرت في عمل أيام الجاهلية، فلما أسلم خباب وأراد أن يطلبه حقه، قال له العاص: أولست تزعم أن في الجنة ذهباً وفضة، قال خباب: نعم، قال: فأخرنى إلى يوم القيامة فأقضيك أجرك من الجنة، فإني لأحسن حظاً منك، فنزلت فيه هذه الآيات⁽²⁾.

¹. سورة مريم. آية: 77 - 79.

². النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1992م). أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام - السعودية، الطبعة الأولى، ص:

ونرى أن هذه الآية الكريمة قد بدأت بهمزة الاستفهام: أفرأيت، وهذه الهمزة الاستفهامية كما أشرنا أنها لها خصوصية عن سائر أخواتها الاستفهامية، فإنها تدخل على حروف العطف، وذلك نحو ما نرى في الآية الكريمة السابقة، فإن همزة الاستفهام دخلت على الفاء العاطفة، وهذا ما جعل الكلام ينتقل إلى أسلوب الاستفهام⁽¹⁾.

وعندما ندقق النظر في الآيات الكريمة السابقة نجد أنها انتقلت من أسلوب الاستفهام إلى الخبر، وذلك ضمن أطراف السلسلة الكلامية على النحو الآتي:
أفرأيت الذي كفر ... استفهام.

وقال لأوتين مالاً وولداً ... خبر

أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ... استفهام

كلّا سنكتب ما يقول ... خبر

فمن خلال بيان أطراف السلسلة الكلامية السابقة يمكن لنا أن نرى كيف أن السلسلة قد تحولت من الاستفهام إلى الخبر، ثم من الاستفهام من الخبر مرة ثانية، وهذا يقود إلى توازٍ تركيبى ضمن هذه السلسلة.

ومن جانب آخر فثمة بعض التوافقات بين الوحدات الكلامية ضمن هذه السلسلة، مثل: وولداً، عهداً، نمد له مداً، فإن هذا التوافق بين عناصر هذه السلسلة الكلامية يؤدي إلى اتساق في مكوناتها الصرفية، مما يفتح الباب أمام تشكيل عناصر التوازي الناقص ضمن هذه الآيات الكريمة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بَنِيَّ أَلَا تَقْصُصُ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ⁽²⁾ ". اشتملت الآيات القرآنية الكريمة على حديث عما كان من رؤيا سيدنا يوسف - عليه السلام - إذ قال لأبيه: يا أبتِ إنني رأيت أحد عشر كوكباً.. الخ، فقال يعقوب عليه السلام: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك...، ثم

1. انظر: ابن يعيش. شرح المفصل، ج: 5، ص: 100.

2. سورة يوسف، آية: 4 - 5.

قال: إن الشيطان للإنسان عدو مبين، وقد قصد سيدنا يعقوب من هذا الكلام أن يبين لسيدنا يوسف أنه ثمة تحاسد وتباغض بينه وبين إخوته، فما كان منه إلا أن أمره بأن يخفي أمر هذه الرؤيا التي رآها في منامه⁽¹⁾.

وكما هو واضح لنا فإن الآيتين الكريمتين اشتملتا على أسلوب النداء، وذلك من طريق أهم أداة من أدوات النداء، وهي: "يا" التي للنداء، إذ تأتي هذه لنداء القريب والبعيد، فيصلح أن تكون لنداء القريب، كما يصلح أن تكون لنداء البعيد⁽²⁾.

وحين ندقق النظر في الآيتين الكريمتين السابقتين، نجد أنهما اشتملتا على حديث عن توازنٍ تركيبى صرفي ضمن عناصر السلسلة الكلامية، إذ نجد أن الآية الكريمة الأولى قد اعتمدت على النداء في تشكيل عناصرها، ثم جاءت الآية الثانية كذلك، ما عدا في خاتمها، فإنها انتقلت من النداء إلى الخبر، وهو يعني انتقال من الأسلوب النحوي إلى الإخبار، وذلك كما يأتي:

يا أبتِ إني رأيت... نداء

يا بُني لا تقصص... نداء

إن الشيطان للإنسان عدو مبين... إخبار.

فهذا الانتقال من النداء المتكرر في بدايات الآيتين كان من شأنه أن يوجد شيئاً من التحول في السلسلة الكلامية، وتغير في أطرافها.

ويمكننا أن نلاحظ كذلك أنه ثمة تشارك بين هاتين الآيتين في بعض المكونات الصرفية التي من شأنها أن تدعم فكرة التوازي فيها، مثل التضاد بين: أبت، وبُني، فإن الأب ضد الابن، ومن هنا فإن هاتين الوحدتين الكلاميتين تقومان على أساس من التضاد والبنى المتخالفة.

ومما يزيد في تشكيل التخالف البنائي بين طرفي المتوالية الكلامية، الاختلاف في زمن الفعل بين: رأيت، وتقصص، فهذا فعل ماضٍ، وهذا فعل مضارع.

¹. انظر: النسفي. مدارك التنزيل، ج: 2، ص: 95.

². انظر: ابن هشام. أوضح المسالك، ج: 4، ص: 5، و ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد (1985م). مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي

حمد الله، دار الفكر، دمشق — سوريا، الطبعة السادسة، ص: 29.

إن هذا البناء المتخالف للتوازي التركيبي الصرفي في الآيتين الكريمتين له ارتباط وثيق بجوانب المعنى، إذ إن هذا التخالف والتضاد يتناسق مع التخالف والتضاد بين يوسف وإخوته، فجاء التوازي ليمنح هذا المعنى مزيداً من التناسق والانسجام عن طريق إيجاد علاقات متخالفة بين مكونات السلسلة الكلامية.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"⁽¹⁾.

تمثل هذه الآية الكريمة انتقال في تركيب التوازي ضمن السلسلة الكلامية من أسلوب النفي، إلى الخبر، وذلك كما ورد في الآية الكريمة.

إذ تبين الآية الكريمة أن الإنسان ليس عليه حرج من أن يأكل من احد بيوت أقاربه، أو أصدقائه الذين يملك مفاتيحها، فإنه ليس عليه حرج في ذلك، وإذا دخل بيتاً ليس فيه أحد فليسلم على نفسه تحية طيبة من الله، هذه مجموعة من الأخلاق التي دعت إليها هذه الآية الكريمة، وحثت على العمل بها⁽²⁾.

وقد بدأ النفي في هذه الآية الكريمة بقوله: "ليس" وليس فعل ماضٍ ناقص، يدل على النفي، فتقول: ليس الحق معك، فهذا نفي لكون الحق معك، فهي إذن دالة من دالات النفي⁽³⁾.

وكما أشرنا من قبل فإن هذه الآية الكريمة تشتمل على توازٍ تركيبى صرفي متمثل باننتقال السلسلة الكلامية من صيغة النفي إلى صيغة الإخبار، ويمكننا أن نبين ما جرى في هذه الآية الكريمة من توازٍ تركيبى صرفي من خلال الجدول الآتي:

1. سورة النور، آية: 61.

2. انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج: 12، ص: 315.

3. انظر: الجارم، وأمين. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، ج: 1، ص: 68.

ليس على الأعمى حرج	أن تأكلوا من	بيوتكم
ولا على الأعرج حرج		أو بيوت آبائكم
ولا على المريض حرج		أو بيوت أمهاتكم
ولا على أنفسكم		أو بيوت إخوانكم
		أو بيوت أخواتكم
		أو بيوت أعمامكم
		أو بيوت عماتكم
		أو بيوت أخوالكم
		أو بيوت خالاتكم
		أو ما ملكتم مفاتحه

فيظهر لنا من خلال الجدول السابق ذلك التوازي التركيبي الصرفي بين عناصر الكلام، فقد تكررت دالة النفي أربع مرات في سياق الآية الكريمة، كما تكررت دالة "أو بيوت" عشر مرات في الآية الكريمة، وهذا فيه تناسق تركيبى واضح. أما من الناحية الصرفية المعجمية، فثمة توافق، إذ تنتمي كل من الوحدات الآتية إلى حقل دلالي واحد، وهي: الأعمى، والأعرج، والمريض، كما تنتمي كلها لصفات صرفية في هذا الإنسان أو ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة للوحدات الكلامية: آبائكم، أبناءكم، أمهاتكم، إخوانكم، أخواتكم، أعمامكم، عماتكم، أخوالكم، خالاتكم، فكل هذه الوحدات الكلامية تنتمي إلى حقل دلالي واحد، الأمر الذي يرفد التوازي بتناسق لفظي دلالي مشتمل على حقول معجمية موحدة ضمن الإطار التركيبي الصرفي.

ومن جانب ثالث، فثمة بعض الملامح الصوتية التي لها دورها في تشكيل عناصر التوازي التركيبي الصرفي، وذلك من نحو تكرار بعض الأصوات، مثل: أو، والضمير: كم، و"لا" النافية، فإن تكرار هذه الوحدات الكلامية يخلق جرساً موسيقياً داخلياً ضمن عناصر الوحدات الكلامية المختلفة، الأمر الذي يفضي في نهاية المطاف إلى تشكيل تناسقي من مكونات هذا التوازي التركيبي الصرفي.

3.3 الانتقال من الإخبار إلى أسلوب نحوي آخر:

وفي هذا القسم من الدراسة تتقلب الآية، ففي القسم السابق كان التحول يتمثل بانتقال الكلام من الإنشاء إلى الخبر، أما في هذه النماذج القرآنية فالانتقال من الخبر إلى الإنشاء، أي إلى أسلوب نحوي آخر، واشتمال هذه السلاسل الكلامية على توازن تركيبى صرفي، وأول هذه النماذج ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"⁽¹⁾. تشتمل الآية الكريمة على تحول من الخبر إلى أسلوب الاستفهام، وذلك ضمن السلسلة الكلامية التي تضمنتها الآية الكريمة.

إذ تبين الآية الكريمة موقف بني إسرائيل من الملك الذي بعثه الله سبحانه وتعالى ليحكم فيهم، وليكون ملكاً عليهم، فأنكروا عليه ذلك، فبين لهم نبيهم أنه أحق بالملك، فقد أوتي سعة في العلم والجسم، فكان له الملك عليهم⁽²⁾.

وقد تحول الكلام في الآية الكريمة من الخبر إلى الاستفهام، وكانت دالة الاستفهام التي وردت في الآية الكريمة هي: "أنى"، وهي أداة استفهام يستفهم بها عن المكان في أكثر الأحوال، وقد يُستفهم بها عن الحال والكيفية⁽³⁾.

ومن خلال نظرنا في الآية القرآنية الكريمة نجد أنها مشتملة على نموذج من التوازي التركيبى الصرفي القائم على تحول الكلام من الخبر إلى الإنشاء، وبالأخص أسلوب الاستفهام، إذ تشكلت السلسلة الكلامية من الأطراف الآتية:

إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ... خبر

أنى يكون له الملك ... استفهام

إن الله اصطفاه عليكم ... خبر

1. سورة البقرة، آية: 247.

2. انظر: البيضاوي. أنوار التنزيل، ج: 1، ص: 150.

3. انظر: ابن جني. اللمع في العربية، ص: 228.

فهذه الأطراف الثلاثة للمتوالية الكلامية هي الأطراف الرئيسية في تشكيل عناصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن هذه الآية الكريمة.

إذ يظهر لنا التحول من الإخبار إلى الاستفهام ضمن الآية الكريمة، وهذا تحول ضمن إطار فعل القول، وهو ما زاد التركيب تخصيصاً في معناه وأسلوبه.

أما من الناحية الصرفية فهناك توازٍ يتمثل بوجود الخطاب في الإخبار، والغائب في الاستفهام: ففي الطرف الأول: قوله: لكم، وهو خطاب لبني إسرائيل، وفي الطرف الثالث: عليكم، وهو أيضاً فيه خطاب لهم، أما في الطرف الثاني، فيرد: "له" وهو حديث عن الغائب، فهذا الانتقال من الخطاب إلى الغيبة يوجد شيئاً من الضدية في تشكيل عناصر التوازي الصرفي في هذه الآية الكريمة، ويجعلها تتحو نحو توازي البنى المتخالفة.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى: "وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتٌ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُلُهُنَّ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّ الْيَابُوتَ وَالْمَرْجَانَ (58) فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (1).

وليس أدل على انتقال التوازي من الخبر إلى الاستفهام من هذه الآيات الكريمة، إذ نجد أن السلسلة الكلامية قد امتدت إلى حوالي ثلاث عشرة آية، وهذا امتداد طويل لمكونات التوازي التركيبي ضمن هذه الآية الكريمة، فقد تحدثت الآيات السابقة عما أعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ولمن خاف مقامه من النعيم المقيم، والخيرات العظام في الجنة، فإنه سبحانه وتعالى قد أعد لهم من الثمرات، والفرش، والأزواج، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما ذلك إلا جزاء الإحسان بالإحسان (2).

1. سورة الرحمن، آية: 46 - 59.

2. انظر: الخازن. لباب التأويل، ج: 4، ص: 130 - 134.

وقد اعتمد الأسلوب النحوي الاستفهامي في الآية الكريمة على دالة الاستفهام "أي" وقد سبقت بحرف الجر، فكان التكرار "فبأي..."، وأي هاهنا يُستفهم بها عن الاسم، وكل واحدة من هذه الآيات المتكررة لم تتكرر على سبيل التأكيد، وإنما كانت كل واحدة بإزاء ما قبلها من النعم التي ذكرها سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة⁽¹⁾.

وقد اشتملت الآيات الكريمة السابقة على توازٍ تركيبى صرفي يتمثل بهذه التكرارات المتعددة لجملة الاستفهام: فبأي آلاء ربكما تكذبان، ويمكننا أن نوضح هذا التوازي من خلال الجدول الآتي:

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	ذَوَاتَا أَفْنَانٍ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	فِيهِنَّ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	فِيهِنَّ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	مُنَكَّبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ

فمن خلال الجدول السابق يظهر لنا كيف أن كل جملة إخبارية تقابلها جملة استفهامية متكررة في سائر الآيات، وهذا التكرار لا يقود إلى التأكيد، بل يقود إلى التعقيب على كل جملة إخبارية سبقتها⁽²⁾.

ومن جانب آخر فإن تكرار هذه الوحدات الصرفية والكلامية يؤدي إلى اتساق العناصر التركيبية مع بعضها، مما يقود إلى تشكيل عناصر التوازي المتسقة ضمن هذا الإطار التركيبى الصرفي.

ومما يدعم هذا التوازي التركيبى الصرفي مجموعة من الجوانب الصوتية، نذكر منها:

¹. انظر: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (1997م). حاشية الصبان على شرح الأشموني

لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 116.

². ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: 520.

1 – تكرار الألف والنون في نهاية كل آية، مثل: جنتان، تكذبان، أفنان، جان، إلى غير ذلك من الآيات، وهذا التكرار الصوتي يمنح السلسلة الكلامية مزيداً من الانسجام والتناسق.

2 – التعاقب بين الغيبة والخطاب في نحو: خاف هو، فيهما، يطمئن، قبلهم، متكئين هم، بطائنها، كل هذه الوحدات الكلامية اشتملت على ضمائر غيبة، في حين أن جملة "قبأي آلاء ربكما تكذبان" تشتمل على ضمير الخطاب، فكما جاءت الآية الإخبارية بضمير الغيبة، جاءت الآية الاستفهامية بضمير الخطاب، وهذا ما منح التوازي مزيداً من التناسق التعاقبي من جهة، وشيئاً من البنى المتخالفة التي يعتمد عليها في تشكيل عناصره التركيبية ووحداته الكلامية.

ولهذا التوازي أثره البالغ الأهمية في تدعيم المعنى والدلالة ضمن الآيات القرآنية الكريمة، وذلك من خلال ربط هذا التوازي والتناسق بطبيعة المعاني، فإن الحديث عن الجنة بما فيها من نعم عظيمة، يقابله هذا التوازي، فكل نعمة لا تقل أهمية عن أختها، وكذلك فإن أطراف التوازي لا تختلف تركيبياً وصرافياً عن أختها، فتشاكل الأطراف المتوازية ضمن السلسلة الكلامية يقابله تساوي نعم الجنة في القيمة والأثر.

الخاتمة

وبعد أن بيّنت الباحثة مظاهر التوازي التركيبي الصرفي ضمن الأساليب النحوية في القرآن الكريم، فإنها تورد في هذه العجالة مجموعة من النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: تظهر لنا ملامح التوازي التركيبي الصرفي وما يدعمه من عناصر التشكيل الصوتي، ولامح المعجم والدلالة ضمن مكونات الأساليب النحوية المختلفة، سواء الاستفهام، أم النداء، أم الشرط، أم غيرها من الأساليب التي تناولتها الدراسة.

ثانياً: كان لهذا التوازي أثره في تشكيل عناصر الموسيقى الداخلية للآيات القرآنية الكريمة، إذ إن تشابه البنى والمكونات الكلامية يقود إلى تناسق الموسيقى الداخلية ضمن السلسلة الكلامية.

ثالثاً: يمكننا القول بأن مظاهر التوازي التام كانت أكثر وضوحاً من مظاهر التوازي الناقص؛ لما للتوازي الناقص من آثار متناثرة، وبنى متشابكة، فكان الوصول إلى التوازي التام أيسر من الوصول إلى التوازي الناقص.

رابعاً: يسهم التوازي التركيبي الصرفي في مزج المعنى بالتركييب، إذ إن لهذه التراكييب المتوزية أثرها في تدعيم الأفكار، كتساوي أهوال يوم القيامة، فمن هنا جاءت جميعها ضمن توازي الشرط في آيات سورة التكوير.

خامساً: هناك بعض الأثر للملامح الصوتية ضمن تراكييب أطراف السلسلة الكلامية، سواء بزيادة الموسيقى الداخلية، أم في زيادة اتساق العناصر الكلامية، وتناغمها، فالمستوى الصوتي له أثره في تشكيل التوازي، وإن كان هذا الأثر ضمن الأساليب النحوية غير واضح المعالم، إلا أنه ثمة بعض النماذج عليه كما رأينا مثلاً في آيات سورة الكافرون، وآيات سورة المعارج ضمن الفصل الثاني.

سادساً: يشتمل التوازي على مجموعة من مظاهر التحول التركيبية الصرفية ضمن الأساليب، وقد رصدت هذه الدراسة أهم تلك التحولات، التي تتمثل بانتقال

الأسلوب النحوي إلى أسلوب نحوي آخر، وانتقال الأسلوب النحوي إلى الإخبار، وانتقال الجملة الإخبارية إلى الأسلوب النحوي. سابعاً: يسهم التوازي في تدعيم المعنى والدلالة، وذلك من خلال طبيعة الاتساق والانسجام والتناغم التي يتسم بها، فيؤثر بطبيعته هذه على مكونات الدلالة، فيجعل الدلالة ذات ارتباط ضمني بعناصر التوازي التركيبية والصرفية. ثامناً: لا شك أن لبعض المظاهر الصوتية أثرها في تشكيل التوازي التركيبي الصرفي ضمن الآيات القرآنية الكريمة، وخاصة في خواتيم الآي، ومن أبرز النماذج على ذلك ما كان من تكرار بعض الأصوات ضمن السلسلة الكلامية، نحو ما رأينا من تكرار الألف والنون في نهايات الآيات الكريمة ضمن سورة الرحمن.

تاسعاً: ولا بد من الأخذ في الاعتبار دور الحقل المعجمي في تشكيل التوازي، وتركيب الدلالة، فإن انتماء الوحدات الكلامية إلى حقل معجمي واحد يجعل التوازي أكثر تماسكاً، على نحو ما رأينا في آية سورة النور، فقد انتمت: الأعمى، والأعرج، والمريض، إلى حقل دلالي واحد، كما انتمت: آبائكم، وأمهاتكم، وإخوانكم، وأخواتكم، وأعمامكم، وعماتكم، وأخوالكم، وخالاتكم إلى حقل دلالي واحد، مما دفع بالتوازي نحو التشاكل والتماك.

عاشراً: إن أكثر النماذج القرآنية التي اشتملت على تحول في عناصر التوازي التركيبي الصرفي ضمن الأساليب كانت من قبيل التوازي الناقص؛ والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة التشكيل التركيبي المميز للأساليب النحوية من جهة، والجمل الإخبارية من جهة ثانية، فإن هذا التميز لكل طرف منهما يبعد مكونات التوازي التركيبي الصرفي عن بعضها بعضاً، مما يؤثر في عملية تشكيله وانسجامه.

ثبت المصادر والمراجع

- الأرموني، صفي الدين عبد المؤمن (1980م). كتاب الأدوار، تحقيق وشرح: هاشم محمد الرجب، دار الرشيد، بغداد - العراق، الطبعة الأولى.
- إسماعيل، عز الدين (د.ت). الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر (1988م). المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة - السعودية، ودار المدني، جدة - السعودية، الطبعة الأولى.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- البياتي، ظاهر شوكت (2005م). أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (1423هـ). **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الجارم، علي، وأمين، مصطفى (د.ت). **النحو الواضح في قواعد اللغة العربية**، المكتبة المصرية السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1983م). **كتاب التعريفات**، حققه وضبطه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن جزري، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (1416هـ). **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (1422هـ). **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (1996م). **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق - سوريا، والدار الشامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الحلبي، محمد بن يوسف بن أحمد (1428هـ). **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.
- حميدة، مصطفى (1997م). **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، دار نوبار للطباعة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (1420هـ). **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (1998م). **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد،

مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (د.ت). **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، تحقيق: حسن هندراوي، دار كنوز إشبيلية، ودار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.

الحياني، عبد الله خليف (2004م). **التوازي التركيبي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، إشراف: هاني صبري علي آل يونس، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الموصل - العراق.

الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد (1415هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

خطابي، محمد (1988م). **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي.

الخطيب، إبراهيم (1982م). **نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس**، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

خليل، إبراهيم (1997م). **الأسلوبية ونظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ودار الفارس، عمان - الأردن، الطبعة الأولى.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ). **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (2000م). **وحي القلم**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

ربابعة، موسى (1995م). **ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء**، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، المجلد: 22، العدد: 5.

الرباعي، علي بن عدلان بن حماد بن علي (1985م). **الانتخاب لكشف الأبيات
المشكلة الإعراب، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت -
لبنان، الطبعة الثانية.**

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله (د.ت). **رسالة منازل
الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان - الأردن.**

رواشدة، سامح (1998م). **التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع
والدلالة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد: 16، العدد: 2.**

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1985م). **اللامات، تحقيق: مازن
المبارك، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية.**

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1984م). **حروف المعاني والصفات،
تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.**

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1993م). **المفصل في صنعة الإعراب،
تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.**

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (د.ت). **زهرة التفاسير، دار الفكر العربي،
بيروت - لبنان.**

السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (1995م). **نزهة القلوب، تحقيق: محمد أديب
عبد الواحد جمران، دار قنتية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.**

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). **الأصول في النحو، تحقيق:
عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.**

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (1997م). **تفسير القرآن،
تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض -
السعودية، الطبعة الأولى.**

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (د.ت). **الدر
المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم،
دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.**

السنيني، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا (1411هـ). الحدود الأنيقة
والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر العربي، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (1992م). نتائج الفكر في
النحو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1988م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام
محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

السيرافي، أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله (1974م). شرح أبيات سيبويه،
تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة
الكلية الأزهرية، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة
الأولى.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (2004م). معجم مقاليد العلوم في
الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة -
مصر، الطبعة الأولى.

شاهنشاه، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد (2000م). الكناش
في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية،
بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

الشايب، أحمد (2003م). الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر،
الطبعة الثانية عشرة.

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (د.ت). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار
المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية عشرة.

الشيبياني، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد (1420هـ). البديع في علم
العربية، دراسة وتحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة
المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (1997م). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

صبح، علي علي (د.ت). الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (1998م). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

عبد التواب، رمضان (1997م). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

عبد التواب، رمضان (1995م). بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

عبد الحافظ، صلاح (1995م). الموسيقى الشعرية، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

عبد اللطيف، محمد حماسة (1983م). النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

عبيد، محمد صابر (2001م). القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات، اتحاد الكتاب العربي، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (1998م). أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الثامنة.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (1998م). علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الخامسة.

العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم (1999م). الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، ونصرة عبد الرحمن، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عمان، الطبعة الأولى.

الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (1993م). جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1979م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (1995م). الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (1978م). غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية.

القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (د.ت). **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة.

ابن قيم الجوزية، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر (1954م). **إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى.

الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي صديقي (1967م). **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (د.ت). **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

كنوني، محمد (1997م). **اللغة الشعرية: دراسة في شعر حميد سعيد**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى.

كنوني، محمد (1999م). **التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد: 18.

كوهين، جان (1986م). **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى.

لاينز، جون (1987م). **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى.

لوش، نور الهدى (1995م). **علم الدلالة دراسة وتطبيق**، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى.

ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1990م). **شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى.

الموردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (د.ت). **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

الميرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، دار عالم الكتب، بيروت – لبنان.

المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (1993م). **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى.

المسدي، عبد السلام (1994م). **البنيات الدالة في شعر أمل دنقل**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى.

المعمدي، عبد السلام (1981م). **قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى.

مفتاح، محمد (1985م). **تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)**، دار التنوير، بيروت – لبنان، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى.

مفتاح، محمد (1997م). **مدخل إلى قراءة النص الشعري، مجلة فصول، المجلد: 16، العدد: 1.**

المناعي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (1990م). **التوقيف على مهمات التعاريف**، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى.

مندور، محمد (2004م). **في الميزان الجديد**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة،

نجم، محمد يوسف (1996م). **فن المقالة**، دار صادر، بيروت – لبنان، ودار الشروق، عمان – الأردن، الطبعة الأولى.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (1421هـ). إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

النشرتي، حمزة عبد الله (1985م). الرباط وأثره في التراكيب في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة - السعودية، السنة: 17، العددان: 67، 68.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1992م). أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام - السعودية، الطبعة الأولى.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد (1985م). مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة السادسة.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد (د.ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرا، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

- وهبة، مجدي (1984م). **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.
- ويليك، رينيه، ودارين، أوستين (1972م). **نظرية الأدب**، ترجمة: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى.
- ياكبسون، رومان (1988م). **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الوالي، ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى.
- ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي (2001م). **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- اليوسفي، محمد لطيفي (1985م). **في بنية الشعر العربي المعاصر**، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى.

المعلومات الشخصية

الاسم: انصاف عبد الله الحجايا

الكلية: الآداب

التخصص: ماجستير اللغة العربية

سنة التخرج: 2016